وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تجليات التناص في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي

مذكرة تخرّج معدّة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في الأدب العربي– تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
– عبير بوسلامة
– عفاف حمي

إشراف الدكتور:
– ياسين صلاح

الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتساب
د.محمد عطاءالله	أستاذ محاضر ب	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي
د. ياسين صلاح	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي
د. العلمي مسعودي	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي

الموسم الجامعي:1440/1439هـ. 2019/2018.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــان

بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة ابراهيم الآية: 07.

يجدر بنا بادئ دي بدء ووفاء، تقديرا وعرفانا، أن نتقدم إلى أستاذنا الفاضل الدكتور: صلاح ياسين ببالغ شكرنا وامتناننا على ما بذله من جهد ومتابعة في سبيل هدا العمل ،فقد عهدناه ناصحا ومرشدا، وله على البحث وأصحابه أياد ظاهرة.

كما نتقدم بالشكر والامتنان الى جميع أساتذتنا في قسم اللغة العربية على ما بذلوه من جهد وعطاء وافر في تعليمنا، ونخص بالذكر الدكتور: علي دغمان، والأستاذ: لحسن عزوز، والدكتور: عبد الرشيد هميسي.

والشكر موصول أيضا الى الأستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول مناقشة هدا البحث.

مقدّمـــة

عرفت الحركة النقدية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين قفزة هائلة في مجال مقاربة النصوص الأدبية وتحليلها، استحوذ فيها سلطان النص على اهتمامات الدارسين وأبحاثهم، فبرزت نظريات نصيّة تختلف مفاهيمها من منهج نقدي لآخر.

ويعد التناص من أبرز المصطلحات النقدية الحديثة، التي لقت اهتمام اغلب الباحثين وانشغالاتهم منذ اكتشافه من طرف الباحثة كريستيفا. وانطلاقا من هذا، تجلّت لنا أهمية البحث في موضوع الأدب الجزائري ،من خلال كتابات البشير الإبراهيمي. ولعل أن يكون اختيارنا لخطاب الإبراهيمي كأنموذج نقيم عليه هذه الدراسة، مرده اطلاعنا المسبق عليه في آثاره وبخاصة عيون البصائر. وهو أهم جزء فيها ،وذلك لما يتضمنه هذا الجزء من نماذج أدبية راقية تثير الإعجاب وتدعو إلى الاحتذاء، وكان الإبراهيمي جمعها بنفسه وأشرف على طبعها في حياته.

وبناء عليه، فانه يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات والإشكالات التي يروم البحث الإجابة عنها:

- ما الأبعاد الفنية والجمالية التي اكتسبها كتاب عيون البصائر من خلال هذا التوظيف؟

وبعد تأمل وتدقيق وتمحيص ارتأينا إلى نعت البحث ب: "تجليات التناص في كتاب عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي".

وكان وراء اختيارنا لهذا الموضوع جملة من الأسباب نذكر منها:

- شغفنا بالقيام بدراسة التناص في إبداع أدبي لمبدع جزائري، لنظهر من خلال الدراسة اهتمام المبدع الجزائري بالنص الغائب قصد إنتاج نص جديد.

- أن الشيخ محمد الإبراهيمي شخصية فذة له باع في الأدب الجزائري ومكانة مرموقة عندنا من المرحلة الثانوية.
- الكتاب مدونة نثرية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها من خلال تطبيق نظرية غربية رافدة على الساحة العربية.

وإن الإجابة على الأسئلة المطروحة في هذا البحث، حتم علينا رسم خطة تكونت من فصلين بعد مقدمة، وذيلت بخاتمة حوت جملة من النتائج التي توصلنا اليها:

_ الفصل الأول: الموسوم ب: **التناص جهازه الاصطلاحي وأبعاده الدلالية:**

تحدثنا فيه عن مفهوم التناص في الجانب اللغوي، ثم تطرقنا إلى الخلفيات الثقافية التي نشأ فيها المصطلح في النقد الغربي المعاصر باعتباره مهد بلورة النظرية. كما طرحنا موقف النقاد العرب من هذه الظاهرة، واعتنائهم بتطبيقها في الدراسات الأدبية. ثم ختم الجانب النظري بإيراد أشكال التناص وأنواعه وآلياته. وقد ورد العمل بالترتيب الموثق في الفهرس نهاية المذكرة.

- **الفصل الثاني:** عنوناه ب: **تجليات التناص في عيون البصائر:**

جاء ليكشف عن تمثل التناص في المدونة، والذي يُعد عمدة البحث وامتدادا عمليا للفصل الأول. مهدنا لهذا بتقديم تعريف للمدونة. وقد انقسم إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: التناص الداخلي.

المبحث الثاني: التناص الخارجي، والذي يشتمل على:

التناص الديني والذي بدوره كذلك ينقسم إلى:

- التناص مع القرآن الكريم: تناولنا التناصات الموجودة مع القران الكريم، وقد تنوع مابين تناص للآيات القرآنية وتناص للألفاظ والقصص القرآنية.

- التناص مع الحديث الشريف: أخذنا ما استحضره الكاتب من نصوص حديثية وقد كان التناص القرآني أكثر منه مع الحديث النبوي الشريف.
- التناص مع علم اللغة والفقه: وقد أردفناه بجدول يلخص ذلك.

التناص الأدبي: رصدنا استدعاءات الإبراهيمي للكثير من النصوص الأدبية، وكشفت وفق آليات هذه النظرية عن طريق سبكه لها في متونه الابداعية. وقد انقسم بدوره إلى:

- التناص مع التراث: تم الوقوف على استلهام الكاتب من التراث واستحضاره له بعيدا عن التقوقع ضمنه واعادة تلميعه، بالاضافة الى الغوص في التاريخ واستخراج النصوص التراثية وإعادة بعثها وإنتاجها على نحو يُمكن لحضور الماضي في الحاضر.
- التناص الشعري: ذكرنا مما استقى الإبراهيمي عباراته ومعانيه، واستشهاده بالشعر في مدونته.
- التناص الأسطوري: عرجنا على استدعاء الكاتب للأساطير العربية والشرقية.
- التناص السياسي: والتي صور لنا فيها الحقبة التاريخية آنذاك
- وختمنا الدراسة بخاتمة أوجزنا فيها بعض النتائج التي أسفر عنها البحث، وهي عديدة وبملحق أولها قدمنا فيه نبذة مختصرة للبشير الإبراهيمي وثانيها مسرد بأهم المصطلحات الواردة في البحث، ثم ذكرنا قائمة المصادر والمراجع المستعملة فيه، وفي الختام وضعنا فهرسا للموضوعات.

ولمعالجة أجزاء هذه الخطة: اعتمدنا المنهج التاريخي والوصفي إضافة إلى الاستعانة بآليات التحليل والاستقراء والاستنباط لمحاولة الوصول لحل الإشكالية المطروحة.

وقد أفاد البحث من مجموعة من المصادر والمراجع بعضها عام والبعض الآخر متخصص، نذكر منها:

- تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص) لمحمد مفتاح.

  عيون البصائر للبشير الابراهيمي

ولا يخلو البحث من الصعوبات والعوائق لعل أهمها:

- التعدد المفهومي لمصطلح التناص نتيجة اختلاف الرؤى والانحاء الفكرية لكل كاتب، مما أدى إلى ضبابية الرؤية في التحليل.
- التطبيق على مدونة مهمة مثل عيون البصائر بآليات التحليل التناصي تقتضي التمرس، وهذا لا نزعم التحكم فيه.

هذا ولا نعتقد أن البحث قد ألم من خلال هده القراءة بكل شيء، إذ الباحث دوما يستشعر نقصا خفيا وباديا في ما يُدلي به ولكنه نأمل دائما أن يشاركنا البعض من الآخرين أفكاره. ولله نحمد هذا المسعى.

وأخرا، لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نزدجي خالص الشكر والعرفان والجميل إلى أستاذنا الفاضل: الدكتور صلاح ياسين على ما بذله من جهد كبير في متابعة هدا البحث وتقويمه، وما أسداه إلينا من توجيهات علمية قيمة، كان لها أثر بالغ وملموس كي يخرج هذا البحث على النحو الذي هو عليه.

الفصل الأوّل

التناص: جهازه الاصطلاحي وأبعاده الدلالية

تنوعت النظرة إلى النص يتنوع المناهج النّقديّة التّي قاربت معناه، وصاغت مفهومه وفي ظل هذه النظريات النّقديّة الغربية والتّي لا يُلغي بعضها بعضا، بل كلّ منها، جهد نقدي ينهل من غيره، ويؤسس لجهد لاحق، لأنّها لا تنطلق من فراغ بل تسير وفق أُطر تنظيريّة علميّة تسير بها أغوار النصوص الإبداعية، وهي تنطلق تلو بعضها في حركة حلزونية خلاّقة، ومن بين نظريات ما بعد الحداثة نجد نظرية التناص التّي أمكن الاستفادة منها في مجال النّقد المعاصر "**ذلك أنّ قيمة هذه النّظرية لا تكمن فيما تقدمه من قراءة جديدة للنصّ فحسب، بل في الدور الذّي تؤديه لتخليص بعض المناهج النّقديّة الحديثة من العقم الذّي أضحى يُهددها**"[1].

ومنه فالتناص منتج نقدي يعتبر استمرارا للجهود النّقديّة التّي سبقته، فهو مصطلح نقدي حديث أُريد به تعالق النصوص وتقاطعها، ولإقامة حوار بينهما وهو في أبسط تعريفاته: **وجود علاقة بين ملفوظين، ومفهومه الكلّيّ يتجاوز ذلك ليشمل النص الأدبيّ من جميع نواحيه. فهو بذلك :تحليل إلى مدلولات خطابيّة مغايرة بشكلّ يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعريّ، وإلى هكذا يتم بعث فضاء نصّي متعدد حول المدلول الشعريّ** ومنه نستطيع أن نقول أنّ التناص هو: أحد مميزات النص الأساسية التّي تُحيل على النص ولا تُحيل إلى خارجه أو قائله، وإنّما نكشف عن المحزون التذكري لنصّوص مختلفة تُشكلّ حقل التناص[2].

إن العودة الى الدلالة المرجعية لمصطلح التناص في المعاجم اللغوية القديمة نجدها لا تشفي الغليل في تحديده، فمصطلح التناص كمادة لغوية لم تذكره المعاجم العربية القديمة بالشكل الذي يستدعي الانتباه، إذ ورد في لسان العرب: "**يقال تناص القوم عند اجتماعهم**

[1] فلاح حسن أوغابي، اقتحام التناص عالم الذات، مجلة الموقف الأدبي، العدد335، أكتوبر 2001، ص58.

[2] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2 ، دار هومة للطبع، الجزائر، 1998، ص19.

ازدحموا و(نصص المتاع) جعل بعضه فوق بعض، ونص الحديث الى صاحبه رفعه وأسنده الى من أحدثه".

فهو إذًا يُفيد المشاركة والمفاعلة والتعددية، إذ أنهُ "من الصيغ التي لا تحدث إلا بين إثنين على الأقل، أي أهمية المشاركة بين أكثر من طرف، ومن ثم فهذا المصطلح يجمع بين أمرين هما:

1. **مادة هذه التفاعل هي "النص".**
2. **طبيعة العلاقة بين النصوص وهي "التفاعل".**

فمفرده "**تناص**" **مرتبطة بالقوم و"تناص القوم": ازدحموا. ومن صيغة: تناصص وهو مصدر الفعل على زنة (تفاعل) تأتي من اثنين أو أكثر، وهو معنى يقترب من التناص بمفهومه الحديث الذي يشير الى تداخل النصوص فيما بينها.**

أما المصطلح العربي المقابل "للتناص" فقد انبثق من "نص" الفعل العربي الدال على الرفع والحركة والاستقصاء، وهي أفعال تشير بدور الفاعل "**الظهور والبروز**" وتحمل هذه الصيغة علامات التداخل في صيغة "**تفاعل**"، ما يشير الى تنوع وتعدد في التفاعل الذي يوجد في المصطلح لا في الجذر، بينما وجد التفاعل هناك في المصطلح وفي الجذر أيضا.

اذا كانت دلالات التناص التي ذكرت آنفا قد وقف من خلالها على مفهوم النص القائم على حملة من الخصائص التي تحكمه من الخارج ومن الداخل، فان النص من وجهة النظر هذه، يبدو كمولود جديد لا يتحقق وجوده إلا بالتلاقي والانضمام، فإذا ما تراكبت مواده وتعالقت نصوصه صار قابلا للامتلاء بالآخر كما هو قابل للإفراغ عن طريق الآخر.

أولا: التناص؛ بين الأصل الغربي والتلقي العربي

1. ارهاصات المصطلح:

لقد تنبّه الشكلّانيون إلى مفهوم التناص بشكلّ مبسط في حين نجد كريستيفا استطاعت أن تستنبط هذا المصطلح " التناص" من خلال قراءتها لباختين في دراسته لأعمال دوستوفسكي(DOSTOEVSKY) الروائية، حيث وضع مصطلحي تعددية الأصوات الحوارية دون أن يستخدم مصطلح التناص وبذلك المصطلح قاصدة به "**أنّ كلّ نصّ هو عبارة عن لوحه فسيفسائية من الاقتباسات، وكلّ نصّ هو تشرب وتحويل نصّوص أخرى**" وهكذا نضج مفهوم التناص بشكلّ تام على يد تلميذة باختين الباحثة جوليا كريستيفا، واتسع مفهومه وأصبح بمثابة ظاهرة نقديّة جديدة وجديرة بالّدراسة والاهتمام وشاعت في النّقد المعاصر كونها أبرزت جملة من المفاهيم النّظرية النّقديّة التّي في ضوئها يُفهم النص فقد تعددت المفاهيم التناصية وتشعبت المدلولات، غير أنّ المصطلح ظلّ حاضرا عبر جميع الاتجاهات الأدبية الحديثة، وإن تباينت السّمات الدّلاليّة للمفهوم داخل كلّ اتجاه مع الاتجاه الآخر محاولة من النّقاد في تبيين جزيئات هذا المصطلح.

اقترح لورانت جيني (LAREN GENNY) إعادة تعريف التناص بقوله: "عمل تحويل وتمثيل عدة نصّوص يقوم بها نصّ مركزي يحتفظ بريادة المعنى، ويرى رولان بارت ROLOND BARTHES أنّ كلّ نصّ تناص، يظهر في عالم ملئ ب النصوص نصّوص قبله، نصّوص تطوقه، نصّوص حاضرة فيه" فمصطلح التناص نصّوص قبله ونصّوص حاضرة فيه "فمصطلح التناص هنا كان في بدايته يتّسم بعدم القصدية والمباشرة ف النصوص تتقاطع فيما بينها بشكلّ عفوي غير واع ولاشعوري، وكذا هو عند أغلب أصحاب نظرية التناص من بعد، علما أنّ بعضهم الآخر لم يمنع فيه القصدية والوعي فاقترب من مفهوم التأثير والتأثر ومن مفاهيم العرب كما سيأتي في السرقة والأخذ وغيرها وهو ما عُرف ب التناص المقصود والمباشر والظاهر.

كان الظهور الأول لمفهوم التناص قد ارتبط بالشكلاني الروسي "سلكو فسكي" الذّي كان أول من أشار إليه في معرض حديثه عن اتصال العمل الفنيّ بغيره من الأعمال الفنيّة الأخرى، ثم تحققت النّقلة النّوعية لهذا المفهوم على يد النّاقد الرّوسي ميخائيل باختين"(M.Bakhtin)" الذّي زرع بذوره الأولى عندما لاحظ تعدد الأصوات في روايات دوستوفسكي وهيمنة الصوت الداخلي في روايات تولستوي، وأومأت البلغارية جوليا كريستيفا "J.Kristiva"إلى هذا الجديد في أبحاثها المنشورة في مجلة تيل كيل"Tel-Quel"، حيث قامت بدراسة نظرية نقديّة، مفادها وجود " **تقاطع داخل نصّ لتعبير مأخوذ من نصّوص أخرى**"[1]، وقد شاع تعريفها المحدد للتناص باعتباره " **التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصّوص مختلفة**"[2].

يعتبر التناص مفهوما تفكيكيا، حيث تسكنه مفهومات الإختلاف والكتابة وثنائية الحضور والغياب[3] "التّي قالت بها نظرية التفكيك، وقد أخذته كريستيفا متكئة على المقدمة التّي تصدرت كتاب ميخائيل باختين"**شعرية دوستوفسكي**i(**F.Dostoievs**")[*]

اعترفت بفضله بصفته صاحب بواكير وإرهاصات بشرت لمولد التناص من رحم الحوارية "Dialogisme"، المفهوم الذّي يقتضي وجود حوار بين النصوص تتفاعل فيما بينها، ومدى تأثير هذا التفاعل في إنتاج الدّلالة التّي يحملها النص الذّي يحتوي عملية التفاعل هذه نقول: " **إنّ الدلالة الشعريّة تُحيل إلى معاني القول المختلفة، ومن حسن الحظ أننا يُمكن أن نقرأ أقوالا متعددة في نفس الخطاب الشعريّ، وبهذا يتخلق حول الدلالة**

[1] حسين خمري، انتاج معرفة بالنص، مقال في مجلة دراسات عربية، ع11-12، بيروت،1987، ص102.

[2] شجاع العاني، الليث والخراف المهضومة، دراسة في بلاغة التناص الأدبي، مجلة الموقف الثقافي، دار الش الثقافية بغداد، ع1998،17،ص84.

[3] نهلة الأحمد، التفاعل النصي-التناصية: النظرية والمنهج، كتاب الرياض، عدد104،جويلية،2000، ص87.

[*] من أكبر الكتاب الروس -1881-1821-ذو شهرة عالمية واسعة خاصة في الرواية والسرد ترجمت أعماله الى العديد من اللغات.

الشعريّة فضاء نصّي متعدد الأبعاد يمكن لعناصره أن تتطابق مع النص الشعريّ المتعين ولُنطلق على هذا الفضاء اسم التناص"[1].

يرى باختين أن كلّ نصّ يقع عند ملتقى عدد من النصوص وهو بإزائها في الوقت نفسه قراءة ثانية وإبراز وتكثيف ونقل وتعميق، ومهما كان موضوع الكلّام فإنّ هذا الموضوع قد قيل من قبل بصورة أو بأخرى، وكان قد تحدث عن علاقة النص بسواه من النصوص دون ذكر اصطلاح التناص، فاستخدم مصطلح " **الحوارية**" لتعريف العلاقة الجوهرية التّي تربط أيّ تعبير بتعبيرات أخرى فكل خطاب حسبه يعود إلى فاعلين وبالتالي إلى حوار محتمل[2] مشدد على أنّ "**الجنس الأدبي هو دائما نفس الجنس وآخر جديد وقديم في الوقت نفسه، فهو يُولد مرة ثانية ويتجدد في كلّ مرحلة من مراحل التّطور الأدبي، وأنّ الجنس الأدبي يحيا في الحاضر ولكن يتذكر ماضيه وأصله من خلال سيرورة التّطور الأدبي**" [3]، وقد عُدّ التناص مفتاحا لقراءة النص وفهمه، مع ضرورة التأكيد على استخراج المصادر اللاوعي للنصّ، ومدرسة التحليل النفسي تُعدُّ اللاوعي منبع الإبداع.

لقد عرفت جوليا كريستيفا التناص بأنّه "**تسرب وتحويل لنصّوص أخرى**"[4] و**هو يقع عند التقاء مجموعة نصّوص، ويكون في الوقت نفسه إعادة لقراءتها، وتكثيفا وتحريكا وانزياحا وتعميقا لها**"[5]

---

[1] صلاح فضل، شفرات النص: دراسة سيمبولوجية في شعرية النص والقصيد، عين الدراسات والبحوث الانسانية، ط2 1995، ص112.

[2] ينظر: حاتم الصكر، تريض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، اجراءات ومنهجيات–الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، مصر 1990، ص144.

[3] تودوروف، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر–أحمد الميديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1987، ص102.

[4] مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص318.

[5] المرجع نفسه، ص318.

ويندرج في إشكالية الإنتاجية النصية التّي تتبلور كعمل النص"[1]، بمعنى أن النص هو عملية استرداد ونقل لتعابير سابقة أو متزامنة مع النص المكتوب، فهو (اقتطاع) و(تحويل) وكلّ ذلك بشكلّ النص وينتمي اليه جماليا وفكريا[2].

تقرر "كريستيفا" مع تابعيها "**رولان بارت**" و"**جنيت**" أنّ أي نصّ يحتوي على نصّوص كثيرة نتذكر بعضها، ولا تتذكر بعضها الآخر، وهي نصّوص شكلّت هذا النص الجديد فالكتابة نتاج لتفاعل عدد كبير من النصوص المخزونة في الذاكرة القرائية، وكلّ نصّ هو حتما نصّ متناص ولا وجود لنصّ ليس متداخلا مع نصّوص أخرى، وقالت: "**إنّ كلّ نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكلّ نصّ هو تسرب وتحويل نصّوص أخرى**"[3].

نظرت كريستيفا إلى التناص باعتباره نتاجا لنصّوص سابقة يعقد النص الجديد معها علاقة تبادل حواري وهي بذلك قد كسرت أحد أعمدة البنيوية وهي فكرة " **مركزية النص**" وانغلاقه على ذاته باعتباره بنية مكتفية بذاتها، ينشئ بهذه السمة علاقة مع الماضي في سياقاته الثقافيّة والتّاريخيّة والاجتماعية محملة بدلالات معاصرة مستحضرة لصور تعبر عن الواقع، فالارتداد إلى الماضي واستحضاره من الأمور الأكثر فاعلية في عملية الإبداع وتُشير إلى أنّ عمل التناص فضاؤه واسع يشتمل على كلّ منتوج الحضارة الإنسانية يتحول معه التناص الأدبي إلى عمل مفتوح لا نهاية له[4].

---

[1] أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا مؤسسة عمان للنشر-عمان،2000، ص148.

[2] تودوروف، بارتأنحينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، المرجع السابق، ص103.

[3] عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998، ص326.

[4] ينظر: ابراهيم نمر موسى، نحو تحديد مصطلحات التناص، الأدب المقارن، السرقات الأدبية، مجلة علامات فبراير2008، ج64، ص68.

أخـرج **رولان بــارت** "**(Barthes)**" أوائـل أبحاثـه فـي ضـوء البنيويـة السـميولوجية وتحول عنها إلى رائد البنيوية التشريحية ممثلة في كتابه **(الكتابة في درجة الصفر)** عام 1970 م، ليغدوا فارسا للنصّ حين استحال رائدا للتّناص في كتابه **(لذة النص)** عام 1973م، وأبحاثه التمست في الاستغناء عن المؤلف تطويرا للنص، إذ بات موت المؤلف ضرورة ملحة، إن لم نقل فضيلة كبرى.

في ضوء هذا المفهوم؛ أعلن بارت أن البّحث عن ينابيع عمل ما، ليس إلاّ استجابة لأسطورة النّسب؛ فالاقتباسات التّي يتكون منها نصّ ما مجهولة عديمة السمة ومع ذلك فهي مقروءة من قبل، أنّها اقتباسات بلا قوسين[1] يقول "**نصّ يرجعنا بطريقة مختلفة إلى بحر لا نهائي هو مكتوب من قبل**"[2] وأقرّ حقيقة هامة مؤداها أن النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه ومستقبله اللّذين يمنحانه الخصوبة وينتشلانه من العقم و"**ليس النص مقترن الوجود بالمعني ولكن بمرور وعبوره [...] ولا تتعلق تعددية النص في الحقيقة بغموض مضمونه، لكن بما نستطيع تسميته بالتعددية المضخمة للدّوال التّي تنسجه**"[3].

كما اعتبر أنّ التناص هو قدرة كلّ نصّ مهما كان نوعه وجنسه، وأنّه نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللّغات الثقافيّة السابقة أو المعاصرة التّي تحترقه بكامله[4] "**فالتناص عنده هو استحالة العيش خارج النص اللاّمتناهي الكتاب يصنع المعنى والمعنى يصنع الحياة** "[5] كما أنّه إعادة توزيع النص للغة، والنص هو حقل إعادة التوزيع أي أنّه مركز الذّي تدور النصوص وأشلاء لنصّوص في فلكه، فيحدث التفكيك والانبناء وكلّ نصّ هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه لمستويات متفاوتة وأشكال ليس عصية على

[1] محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1998، ص16.

[2] رامان ساحدن، النظرية "الأدبية المعاصرة" الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ،1996، ص148.

[3] رولان بارت، من العمل إلى النص، دراسات في النص والتناصية، تر: محمد خير البقاعي، ص15.

[4] رولان بارت، من الأثر الأدبي إلى النص، تر: عبد السلام بن عبد الله ، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، عدد 38، فيفري 1986،ص 115.

[5] تودوروف، بارت أنحينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ص105.

الفهم بطريقة أو بأخرى، وإذ نتعرف على نصّوص الثقافة السالفة والحالية "**فكلّ نصّ ليس الاّ نسيجا جديدا من استشهادات سابقة**"[1]

إنّ ما ميز مفهوم التناص عند" **بارت** "هو تركيزه على دور القارئ المتمرس، مالك الذوق الفني الجيل في عملية التناص، من خلال ما يقوم به من استحضار لمخزونه الثقافي عند قراءة النص، فلا يطمح الا في أن يكون مشاركا للكاتب في إثراء النص عن طريق الاستجابة لمُوحياته، لأنّ "**الأنا التّي تقترب من النص هي في الواقع مجموعة متعددة من النصوص الآخرى ذات شفرات لانهائية، أو مفقودة الأصول قد ضاعت مصادرها**"[2].

عمل جيرار جنيت "(G.GENITTE)"هو عمل في النّقد الغربي المعاصر على توسيع مصطلح التناص عندما اعتبر النص نصّا جامعا Architect يسمح بالكتابة على الكتابة، هو يشمل النص والمقدمات والإستشهادات إلاّ أنّه استخدام مصطلحا بديلا يُومئ به التناص بمفهوم هو "**التعالي النصي**" أو **النصية المتعالية**، عرّفه بصورة إجمالية بأنه "**كلّ ما يجعل النص في علاقة أو ضمنية مع نصّوص أخرى، فهو يتجاوز إذا أو يشمل الجميع النصوص، وبعض الأنواع ذات العلاقة الخاصة ب النصية المتعالية.**[3]

"**فالتناص هو علاقة حضور مشترك بين نصّين أو عدد من النصوص بطريقة استحضاريه وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنصّ في نصّ آخر**[4]".

لكنّه لا يُسهب أكثر في الشّرح هذه العملية لاسيما ما يتعلق منها بالمتلقي، باعتباره طرفا في عملية التناص من خلال ما يستدعي لديه من مخزون ثقافي وأفق تخيلي ووجداني أثناء عملية التلقي. فقد تجاوز جنيت بالتناص إلى مفهوم التعالي النصي، فيُدرجه نمطا من

[1] محمد خير البقاعي، دراسات في النص و التناصية، ص38.

[2] صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراء تطبيقية، دار شرقبات، القاهرة، ط1996،1، ص58.

[3] مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية–المفهوم والمنظور، ص179.

[4] صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، ص125.

أنماطه، ففي كتاب (اطراس) التعالي النصي أو عبر النصية حددها بخمسة أنماط وهي **التناصية، الملحق النصي، الماورائية النصية، الجامعية النصية، الاتساعية النصية** محاولا رصد كلّ ما يتعلق فيه نصّ بنصّوص أخرى، دون أن يتفلت وفق هذا المفهوم أي من العلاقات والتفصيلات التّي تحكم بنية النصوص المتعدية بوصف النص منفتحا أو متعديا إلى نصّوص أخرى. ف التناص عند **جيرار جنيت** يتحول إلى نمط من أنماط التعالي النصي وتتداخل هذه الأنماط فيما بينها وتتعدد العلاقات التّي تستوعبها وتجمعها.

وإذا كان التناص عند كريستيفا لا يتمُّ إلاّ وفق طريقة تمنح النص وضع الإنتاجية ليس إعادة الإنتاج، فإنّ التناص عند لوران جيني (L.Jenny) هو: مزية النص المنتج لا يحقق فاعليته إلاّ عندما يُعيد بناء اللغة على مستوى أعلى، مؤكدا أنّ القبض على بنية العمل الأدبي لا يتم الا من خلال علاقته بالبُنى الأصلية، وقد عرفه أنّه : "**عمل يقوم به نصّ مركزي لتحويل نصّوص وتمثلها وتحتفظ بريادة المعنى** "[1] وأعطاه أكثر حصرية بعد أن توسعت مفاهيمه لدى –**باختين**– وقيده بالتحويلات المتبادلة بين النصوص عائدة إلى نوع بذاته، فينتهي الحديث إلى تناص شعري وآخر روائي أو موسيقي[2]، وبالتالي أصبح التناص أحد إن لم يكن أهم خواص النص إذ يرتبط بالتحويلات التّي مارسها نصّ ممركز على ما تبشر به من خطابات متعددة[3].

أما **ميشال ريفانتير** "**(M.Riffatere)**" فينظر إلى مفهوم التناص فيعده مرتبة من مراتب التأويل، وهو استعمال يُترجم أفكاره القائمة على الوقائع البلاغية الأسلوبية، والمقروئية الأدبية، حيث يفترض وجود تطابق متبادل بين الشكل والمضمون، ومرجعيات النص حسبه هي نصوص أخرى، و النصية مرتكزها التناص[4] ويذكر له جنيت تعريفا مفاده **أنّ**

[1] مارك أنحينو، التناصية، ص69.

[2] ينظر: كاظم جهاد، أدونيس، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية النثر : مكتبة مديولي–مصر، ط2،1993، ص36.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص36.

[4] رولان بارت، أصول الخطاب النقدي، ص107.

التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده"[1]. ويضع ريفاتير أيضا مفارقة مهمة بين التناص وتداخل النصوص، فيُعرف تداخل النصوص بأنه "**ظاهرة توجه قراءة النص، ويمكنه أن تحدد تأويله.**[2]" إنّ تعدد التعريفات التّي قدمت لمفهوم التناص، ترتبط بتعدد المرجعيات والرؤى التّي قدمها كلّ باحث من المساهمين في بلورة هذه النّظرية وتوسيع حدود آليات عملها وتطويرها، ويستعصى الضبط لتعدد التعاريف واختلاف المفاهيم، وكثرة الاقتراحات والإضافات والتعديلات حوله، فها هو" **مارك أنجينو (Mar Anjinou)** أحد المنظرين للمصطلح يُلمحُ أنّ المسألة ليست في معرفة معنى التناص، ولكن: **فيم يستخدم ؟ ولأي شيء يصلح؟ وهل هو مرتبط باللحظة التاريخية؟** إنّه أداة نقديّة تسمح لنا بإثارة إشكالية نقديّة وفكرية أكثر منه مفهوما محددا بدقة[3].

غير أن الشيء الوحيد الأكيد، أنّه ظلّ حاضرا عبر جميع الاتجاهات والتّيارات النّقديّة المعاصرة، فقد اتسع مفهوم التناص وأصبح بمثابة ظاهرة نقديّة جديدة وجديرة بالدراسة والاهتمام وشاعت في الأدب الغربي، ولاحقا انتقل هذا الاهتمام بتقنية التناص إلى الأدب العربي مع جملة ما انتقل إلينا من ظواهر أدبية ونقديّة ضمن الاحتكاك الثقافي، إضافة إلى الترسبات التراثية الأصلية.

إذا كانت كلّمة تناص ترنُّ بعذوبة في أسماع الكثيرين، فقليل هم الباحثون الممتازون الذّين هيئوا لها الطرح النظري الكفيل باستعمالها بكيفية صارمة وإجرائية[4] ذلك أن التناص سمة متعالية عن الزمان والمكان، بل إنّه يرتبط بأي كلّام كيفما كان جنسه أو نوعه.

---

[1] محمد خير النفاعي، دراسات في النص والتناصية، ص126.

[2] اسماعيل عبد الله الإسماعيل، المعارضات السردية في الأدب العربي، مجلة، ص62.

[3] مارك أنجينو، التناصية ، مجلة علامات، م5، ج18، مارس،1996م،ص 124-156.

[4] ينظر، تود وروف وآخرون، الخطاب النقدي الجديد، ترجمة أحمد المديني، مجلة عيون المقالات، المغرب، ط2 ،1989 ص108.

إنّ التناص هو "**الذّي يهب النص قيمته ومعناه، ليس فقط لأنه يضع النص ضمن سياق يُمكننا من فض مغاليق نظامه الإشاري ويهب إشارته وخريطة علاقاته معناها، ولكن أيضا لأنه هو الذّي يُمكننا من طرح مجموعة من التوقعات عندما نواجه نصّا ما، وما يلبث هذا النص أن يشبع بعضها وأن يولد في الوقت نفسه مجموعة أخرى**"[1].

من هنا نكتشف البؤرة المزدوجة للتناص، "**إنّه يلفت اهتمامنا إلى النصوص الغائبة والمسبقة وإلى التخلي عن أغلوطة استقلالية النص، لأن أيّ عمل يكتسب ما يحققه من معنى بفضل ما كتب قبله من نصّوص. كما أنه يدعونا إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات لشفرة خاصة يمكننا وجودها من فهم النص الذّي نتعامل معه رفض مغاليق نظامه الاشاري، ازدواج البؤرة هنا هو الذّي يجعل التناص نوعا من توصيف العلاقة المحددة التّي يعقدها نصّ ما ب النصوص السابقة، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الإسهام في البناء الاستطرادي والمنطقي لثقافة ما وإلى استقصاء علاقاته بمجموعة من الشفرات والمواصفات التّي تجعله احتمالا وامكانية داخل ثقافة ما والتّي تبلور احتمالات هذه الثقافة**".[2]

اذا كانت دلالات التناص التي ذكرت آنفا قد وقف من خلالها على مفهوم النص القائم على حملة من الخصائص التي تحكمه من الخارج ومن الداخل، فان النص من وجهة النظر هذه، يبدو كمولود جديد لا يتحقق وجوده إلا بالتلاقي والانضمام، فاذا ما تراكبت مواده وتعالقت نصوصه صار قابلا للامتلاء بالآخر كما هو قابل للإفراغ عن طريق الآخر.

[1] صبري حافظ، التناص واشاريات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، المغرب،ع،1986، ص91.

[2] المرجع السابق، ص93.

لقد تطرقنا فيما سبق لمفهوم التناص بصورته المعروفة في الساحة النّقديّة، والذّي هو نتاج بحوث الغرب، لكن ما يجدر الإشارة إليه هو: **هل التناص كمصطلح له نصّيب من البّحث لدى نقادنا العرب؟**

هذا التساؤل يدفعنا إلى التغلغل في الأعماق لنكشف أهم الآراء والدّراسات التّي قام بها النّقاد العرب حول هذه النّظرية ذات الجذور الغربية.

2. التناص عند العرب:

أ- التناص عند محمد مفتاح:

يُعد محمد مفتاح من النّقاد العرب المحدثين الذّين تعمقوا في دراسة التناص كظاهرة نقديّة لأنّها شغلت حيزا كبيرا من التساؤل حول كيفية اشتغاله في النصوص الأدبية بصفة عامة والشعريّة بصفة خاصة، لهذا فان مفهوم هذا المصطلح لديه ما هو إلاّ استخلاص لمختلف التعاريف التّي تطرق إليها النّقاد الغربيين، والتّي أسلفنا ذكرها. لكن هذا لا يعني أن محمد مفتاح ليس لديه مفهوما خاصا به فقد عرّفه أنه:

" **ظاهرة لغوية تستعصي على الضبط، والتقنين يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح**"[1].

فالتناص عنده ظاهرة يصعب ضبطها، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو الشق الثاني من التعريف وهو ثقافة المتلقي، حيث يجب أن تكون خلفياته المرجعية واسعة جدا لكي يُحيل مباشرة إلى النص الأصلي. كما أشار أيضا إلى نوعين من التناص هما: التناص الضروري والتناص الاختياري.

كما أشار محمد مفتاح إلى نوعين حينما تطرق للتناص الضروري والاختياري هما:

- المحاكاة الساخرة "النقيضة" :التّي يحاول كثير من الباحثين أن يختزل التناص اليها.

- المحاكاة المقتدية "المعارضة" :التّي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها هي الركيزة الأساسية للتناص[2].

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص122.

[2] المرجع السابق، ص123.

من خلال كلّ هذا فإنّ مفتاح يرد التناص إلى ثقافة المجتمع، فهناك ثقافة محافظة لأسلافها ولأن ثقافتهم لم تتعرض إلى أية نوبة تاريخية تسمح في قطع الصلة بين السلف والخلف ولأنهم يرونهم بمنظار التقديس والاحترام. أمّا إذا كانت ثقافة مجتمع ما تعرضت لهزة تاريخية فغالبا ما يُعاد النظر إلى التراث وفق مناهج نقديّة.

وما قلنا في الثقافة بصفة عامة نقول على مستوى الأدباء والشعراء فمنهم المتتبع المقتدي المسالم، ومنهم المشاكس المعتدي الثائر. على أن هذه الثنائية أو الثلاثية ليس إلا مجرد نمذجة نظرية يعتمد رد النصوص إلى إحداهما[1] وإعادة بناءها وتنظيمها مع **إظهار بعض الأمور وإخفائها وفق مقصدية المتلقي، المنتج.**

التناص عند عبد المالك مرتاض:

أبدى عبد المالك مرتاض عناية كبيرة بالمواضيع النّقديّة القديمة والحديثة ومن بين هذه المواضيع نظرية التناص الذّي عرفه على أنه **الوقوع في حال تجعل لمبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا وأفكارا قد التهمها في وقت سابق دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه.**[2]" **فالتناص عنده لا يخرج عن دائرة تعاريف النّقاد الآخرين، فهي عملية اجترار وامتصاص لنصّوص سابقة، لهذا فالتناصية عنده شرط لقيم كلّ نصّ سابق يُحاوره، ويقيم معه علاقة، فالمبدع لا يستطيع أن يبدع نصّا هكذا دون استناده إلى مؤثرات خارجية، تفرضها البيئة الاجتماعية وكذا الأحوال الاقتصادية والسياسية، وفي الأخير يعتمد على ما استقر في وعيه، وما حفظته ذاكرته من نصّوص سابقة ومن مخزون ثقافي**".[3]

---

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسونية، اصدارات رابطة ابداع الثقافة، د.ط، الجزائر 2002، ص195.

[2] عبد المالك مرتاض في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع201، كانون الثاني 1988، ص55.

[3] المرجع نفسه، ص56.

تتخذ العلاقة النصية عند مرتاض، أحد الشكلّين، إمّا أن تكون التناصية هي من النوع الثاني وأعتبر المصطلحات التالية : التناص والسرقات الأدبية والمعارضة والاقتباس عبارة عن شكلّ واحد من أشكال العلاقات التناصية ولكن تسميات متعددة، و التناص عنده في أبسط صورة هو " **تُحاور طائفة من النصوص وتضافرها لإنشاء نصّ جديد على أنقاضها**[1] **فالتناص عبارة عن صراع بين نصّ ونصّوص أخرى وهي عملية تفاعل تجمع بين النص السابق ب النص الحاضر مع اضفاء قيمة له،وإيهاب المعلومات التّي تُمكننا من فهم أي نصّ نحن بصدد التعامل معه والتّي أرستها نصّوص سابقة ويتعامل كلّ نصّ جديد بطريقتها يُحاورها يصدر عليها يدحضها يعدلها ويقلبها**"[2].

ويُبطل أحدهما مفعول الآخر، فهو اثبات ونفي وتركيب، و التناص عنده ليس سرقة وإنّما هي قراءة جديدة، أي كتابة ثانية ليس لها نفس المعنى الأول لهذا نجده يُقسم النص إلى مستويات عديدة يردها المؤلف دون وعي منه ووفق الموضوع الذّي طرحه ويردها إلى ما يسمى بالأنا وهي التّي تتعامل مع النص ليست موضوعا فعلا إزاءه لأنّ الأنا التّي تتقرب مع النص هي في الواقع مجموعة متعددة من النصوص الأخرى، ذات شفرات لا نهائية[3].

وفي مقال له يتسائل قائلا: هل **الكتابة انبثاق عن صميم الذات أم هي إبداع متولد عن شتات الغير؟ أم هي مزيج من هذا وذاك، يتساءل عن صفاء النص وعدم حضور الآخرين. بين ثنايا السطور**. مدام ذلك الحضور يشكلّ ما يدعوه النّقد المعاصر ب التناص بدل التناصية.

[1] عبد المالك مرتاض، الكتابة أم حوار النصوص؟ مجلة الموقف الأدبي، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص92.

[3] المرجع نفسه، ص93.

ب- التناص عند محمد بنيس:

يّعد من النّقاد العرب المحدثين الذّين اخذوا من نظرية التناص كمحور للدراسة، على أن يكون النص الغائب هو البديل أو المرادف لمصطلح التناص، ف النص الشعريّ حسب رأيه ما هو الا شبكة تتداخل فيه نصوص عدة ف النص '**عبارة عن مستويات معقدة من العلائق اللغوية الداخلية والخارجية، التّي تتحكم جميعها في نسيج ترابط وبنيته على النموذج تختص بيه دون غيره**''[1].

لهدا ف النص الشعريّ عنده عبارة عن شبكة من النصوص الشعرية كانت أو نثرية، وأنّ النص الشعريّ "**مهما كانت صلة القرابة بينه وبين النصوص اللغوية الأخرى من شعرية والنثرية، وفي اللحظة التاريخية التّي كتب فيها أو الفترات التاريخية السابقة له فهو كنموذج يختص به دون غيره** "[2].

وتتداخل النصوص عنده في شبكة واحدة ليس من ناحية الموضوع لا من ناحية الزمن وهذا ما أشرنا إليه آنفا بل التداخل عنده يكون بالضرورة شبكة يصعب تحديدها إذ يقول في هذا الشأن "**يختلط فيها الحديث بالقديم، العامي بالأدبي اليومي بالخاص الذاتي بالموضوعي**"[3].

وتكمن مسالة تعالق هده النصوص المتنوعة والكثيرة في قيام بالبنية التناصية على سياق تاريخي وظروف وعوامل سوسيو ثقافية "**فالتناص محكوم بالتطور التاريخي**[4].

"**لأنّه وسيلة "تواصل لا يمكن ان يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه، اذا لا يكون هناك مرسل بغير متلقي ومستوعب مدرك لمراميه وعلى هذا فانّ وجود ميثاق وقسط مشترك بينهما من التقاليد الأدبية والمعاني ضرورية لنجاح العمل التواصلي**[5]"

[1] محمد بنيس، ظاهرة الشعر العربي في المغرب، دار العودة، ط1، بيروت،1997، ص25.

[2] المرجع نفسه ، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

[4] المرجع نفسه، ص25.

[5] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص121.

مما سبق نلاحظ أنّ الجهود النّقديّة غربية كانت أم عربية سعت إلى بلورة المصطلح وتطويره ليتحول من مجرد ظاهرة إلى نهج إجرائي له آلياته ووسائله التحليلية، التّي تساعد النّقاد أو القارئ في كشف النصوص الغائبة وآليات تفاعلها مع النص الجديد كما أنّ اغلبها قد حصرت أنماط العلاقات بين النصوص المتفاعلة في التقسيمات الثلاثية متمثلة في الاجترار والمحاكاة، وهو التعامل بوعي سكوني مع النص الغائب، الذّي يحتفظ بهيمنته على النص الجديد، فيظل النص الجديد أسير مرجعه، فيغير النص الثاني مقولات النص الأول أو بعضها دون الحوار معها، ثم نجد التحويل، الذّي يتم بامتصاص النص الغائب وإعادة إنتاجه، وتشكيله، وفق رؤى جديدة وتجربة جديدة، ف النص اللاحق يختار النص السابق ومتعلق بمميزات وخصائص فيه' يستثمرها في تشكيله الإبداعي الجديد.

ثانيا: أنواع التناص

ينقسم النّقاد التناص إلى قسمين باعتبار الاحتواء إلى التناص الداخلي والخارجي:

1_التناص الداخلي : يكون حين يمتص المبدع آثارها السابقة أو يحاورها، أو يتجاوزها بحيث تغدو النصوص يُفسر بعضها بعضا وتضمن الانسجام فيما بينها، ويكون ها العمل بوعي وقصد من المبدع أو بغير قصد. وهذا ما جعل بعض المتلقين حين يقرأون أو يسمعون نصّ ما، يقولون هذا أسلوب فلان، لأنّ نصوصه لدى هؤلاء المتلقين معروفة لتداخلها فيما بينها، كما فسر بعضها بعضا[1]، وقد عرف نور الدين السد التناص الداخلي **بأنّه دخول نصّ الكاتب في التفاعل مع بعض النصوص كُتاب عصره، سواء كانت هذه النصوص ادبية أو غير أدبية**"[2].

2_التناص الخارجي: يتجسد في امتصاص المبدع نصوص مبدعين آخرين أو محاورتها أو تجاوزه لها بحسب المقام والمقال، ولذلك فإنه يحب موضعه نصّه أو نصّوصه مكانيا في خريطة الثقافية التّي ينتمي إليها، زمانيا في حيّز تاريخي معين، وهذا النوع من التناص هو الشائع [3]. يشترط (نور الدين السد) في التناص الخارجي **أن تتفاعل نصّوص الكاتب مع نصّوص غيره، التّي ظهرت في عصور بعيد عن عصره**[4].

---

[1] ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري–استراتيجية التناص–، المركز الثقافي الدار البيضاء، ط3 ،1992، ص124

[2] نور الدين المسد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1997،ج2،ص112

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص125.

[4] نور الدين المسد، الأسلوب وتحليل الخطاب،ص112.

ثالثا: أشكال التناص:

ثمة ثلاث أشكال للتناص هي:

أ/**الاجترار**: هو تكرار للنصّ الغائب من دون تغيير أو تحويل، وهذا القانون يُسهم في مسخ النص الغائب لأنه لم يطوره ولم يحاوره واكتفى بإعادته كما هو أو مع تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء[1]، فهذا القانون يعني استحضار النص الغائب من دون التطرق فيه.

ب/الامتصاص: أن يتعامل (الكاتب) مع النص تعاملا حركيا تحويليا لا ينفي الأصل بل يسهم في استمراره جوهرا قابلا للتجديد[2] أي هو اعادة صياغة النص بطريقته الجديدة.

ج/الحوار: وهو أعلى مرحلة في قراءة النص الغائب، إذ يعتمد النص المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان حجمه وشكلّه[3] ومعنى ذلك أنّ الكاتب أو الشاعر يُغير في النص القديم ويحوله.

رابعا: آليات التناص :

" لا تتم آليات التناص من خلال النص وحده، إنّما تتم عبر الملتقى الذّي يقوم بعملية التأويل الذّي هو عبارة عن : (التفاعل بين فعل وبنية)، أي تفاعل بين فعل القراءة وبنية النص لإنتاج معنى ما من خلال هذه القراءة " [4]و للتناص آليات عديدة مقسمة بين نوعين:

1-التمطيط : "هو عملية توسيع للنصّ في وحداته البنائية اللفظية أو التركيبية وذلك بإقحام الزوائد اللغوية في البنى الاصلية للنصّ[5] ويحصل التمطيط بأشكال مختلفة منها:

ا- "**الأباكرام** (الجناس بالقلب أو بالتصحيف)، والباراكرام (الكلّمة المحور)، فالقلب مثل عسل ولسع، والتصحيف مثل: "نخل ونحل" [6]، وهو نوع من التلاعب بالأصوات ويكون على

---

[1] أحمد ناصم، التناص في شعر الرواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1 ،2004.، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص 47-48.

[3] المرجع نفسه، ص55.

[4] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص71.

[5] المرجع نفسه، ص72.

[6] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص" ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط3 ، 1992، ص126.

صعيد كلّمة أو كلّمات باعادة ترتيب أصواتها"[1] وأما الباراكرام الذّي يعني الكلّمة المحور" فقد تكون أصواتها مشتتة طوال النص مكونة تراكما يثير انتباه القارئ الحصيني، وقد تكون غائبة تماما عن النص ولكنه يبنى عليها وقد تكون حاضرة فيه... وعلى أن هذه الالية ظنية وتخمينية تحتاح إلى انتباه من القارئ أو عمل منه لإنجازها[2] " الاستعارة بأنواعها المختلفة من مرشحة ومجردة ومطلقة، فهي تقوم بدور جوهري في كلّ خطاب ولا سيما الشعر بما تبثه في الجمادات من حياة التشخيص.

-**التكرار**: ويكون على مستوى الأصوات والكلّمات والضبع[3].

-**الشرح**: ايضاح دلالة غامضة أو تعريف رمز أو علم معين[4].

-المجاورة : ويقصد بها أن يكون ثمة معنى مجار هو المقصود من هذه المقولة أو النص الكلّي فهذا المعنى لا يكشفه ظاهر النص بل من خلال التأو يل بالاستناد إلى المجموعة من القرائن اللغوية أو المعنوية.

-الايجاز: هو عملية تحويلية تتعرض لها النصوص المراد توظيفها في نصّ آخر...أي هو عملية ضغط للنصّ كي يبدو في صورة مصغرة[5] وتحصر آلية الايجاز بأشكال مختلفة منها:

أ-**التلميح**: "يعني الإشارة إلى حدث أو اسم أو قصة مشهورة من دون أن يتم شرح هذا الاسم داخل متن النص أو في هامش الصفحة، إنّما يودع للقارئ حرية استحضار هذا الاسم أو تلك القصة"[6].

---

[1] أحمد ناهم، "التناص في شعر الرواد"، ص72.

[2] محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص126.

[3] المرجع نفسه، ص126.

[4] أحمد ناهم" التناص في شعر الرواد"، ص89.

[5] المرجع نفسه، ص93.

[6] المرجع نفسه، ص94.

ب-**الإقتباس:** هو شكلّ من أشكال التناص واستلهام وامتصاص للتراث والتفاعل معه... ويعد الإقتباس آلية تكثيفية ايجازية يتم من خلالها استحضار نصّوص دينية معروفة عن طريق المتلقي"[1].

بوساطة قراءة الجزء المقتبس واستحضار النص كاملا لأنه معروف ولا حاجة إلى ذكره في النص كاملا.

ج-التضمين: هو الاستشهاد ببيت أو أبيات عدة بمعنى أن يستعير الكاتب أو الشاعر شطرا أو بيتا ويدرجه في نصّه الجديد[2].

[1] المرجع نفسه، ص99.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص101.

الفصل الثاني:

التناص في عيون البصائر

أولا: تعريف المدونة

كتاب عيون البصائر، معناه أنبهُ من اسمُه، وحقيقته آنقُ من لفظه، وهو سفر يحتاج إليه المتوسط العامي والعالم الخاصيّ، فهو كتاب يُعد من أمهات كتب الأدب الجزائري، إذ كان جليله يتقدّمُ دقيقة، ومقالاته مُرتبة ومعانيه مُنزلة، بكل ما كتب به إلى إخوانه وخُلطانه من مزح وجدّ، وإفصاح وتعريض، ومن تغافل وتوقيف ،ومن هجاء لا يزال ميسمه باقيا، لا يزال أثره ناميا ،ومن مُلح تضحك، ومواعظ تُبكي .

صدر كتاب عيون البصائر أول مرّة في القاهرة سنة 1963م بإشرافه في دار المعارف بالقاهرة ،فحوى مقالاته التي كانت افتتاحيات في السلسلة الثانية من "البصائر " ،بين سنوات (1947م –1953م)، وأُعيد طبعه مرتين اثنتين في الجزائر بعد وفاته وعُدّ جزءا ثانيا.

يقول فيه الشاعر محمد العيد آل خليفة :(الطويل)

كتاب لمن أملاه بالعلم يشهد ... يطالعنا بالعود والعود أحمد

عيون بها تجلو البصائر نورها ... علينا كما يجلو الكواكب مرصد

وأطلعها فكر البشير بأفقه ... فما هي إلاّ أنجم تتوقد

فهو سفر موشح بعيون ما نشر من مقالات في جريدة البصائر، لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تشرئب النفوس إلى سماعه وقراءته، ولا تمل من تكراره ،فقد وضع فيه مؤلفه الابراهيمي عدة مقالات نفيسة ،تناول فيها قضايا عديدة ،عرّف فيها بحقيقة أوضاع الشعب الجزائري وأصل وضعه في الإسلام، وتفرقه بعد ذلك أثناء الحقبة الاستعمارية، كما وصف فيها الكتّاب ،فمدح فيها فضلائهم، وذم حمقاهم. قال الابراهيمي (الرجز):

فتحت بالعلم عيونا نعسا ... وكان جد العلم جدا تعسا

وقال محمد العيد آل خليفة :(البسيط)

وعن عيون مقالات له كشفت ... هدى البصائر تنفي كل ضلال

ومجمل القول :

- إن سيرة الشيخ محمد البشير الابراهيمي، هي في ذاتها نص لغوي يُقرأ، مفرداته الوقائع وشهادات الآخرين عليه، ودواله بعض ما أفاض به هو نفسه عن نفسه في مقال بعنوان "**من أنا**"، وهو بحق إمام زمانه.
- وكتاب "**عيون البصائر**" كتاب لطيف الحجم، عظيم النفع، غزير العلم ،جليل القدر ،كثير الفوائد، جدير بالدراسة والعناية، عرفنا به الشيخ محمد البشير الابراهيمي – رحمة الله عليه– فهو نبع ثري وقعت اللغة العربية منه وقعا مكينا، وهو مدرسة فكرية وأدبية قائمة بذاتها في تاريخ أدبنا العربي المعاصر.

ثانيا: تجليات التناص في عيون البصائر

1. التناص الداخلي:

لقد وظف البشير الإبراهيمي آلية التناص في جل نصوصه، التّي كانت تدور حول عدة محاور: جمعية العلماء المسلمين وأعمالها، قضية اللغة العربية وحق التعليم العربي قضية المساجد وأو قافها، قضايا اجتماعية كالزواج والحج والصوم، قضية فصل الدين عن الحكومة بالإضافة إلى شخصيات تناولها بالمدح والتقريظ كالتسبح مبارك الميلي وعبد الحميد ابن باديس، وشخصيات أخرى بالغرض والقدح كمحمد العاصمي وغيره، وتناول قضايا أخرى كقضية فلسطين. فقد عالج الإبراهيمي جلّ القضايا المتعلقة بالجزائري مصيرهم، ومحاولة تنوير بصيرتهم نحو الحق ؛ وإصلاحهم ونشر الوعي بين أبناء وطنه فقد تشكلّ قضايا الشعب الجزائري هاجسا، برزت بوضوح في مقالاته.

في قوله في جمعية العلماء المسلمين الجزائرية: " **لجمعية العلماء أعمال ومواقف، لها أعمال في الميدان الديني، لا يتطرق اليها التبديل والتغيير؛ لأن المرجع فيها إلى نصّوص الدين من كتاب الله، وصحيح السنة، واجماع السلف**"[1].

[1] الابراهيمي، عيون البصائر، ص32.

ومن أبرز أعمالها عملها للعروبة "**وجاءت جمعية العلماء على عبوس من الدهر وتنكر من الاقوياء، فنفخت من روح العروبة في تلك الأسباب، فإذا هي صريحة، وسكت من سر البيان العربي في تلك الألسنة، فإذا هي فصيحة، وأحالت الأقلام في كشف تلك الكنوز، فإذا هي ناصعة بيضاء لم يزدها تقادم الزمان إلاّ جده**[1]."

ويقول عن التعليم العربي " **وجمعية العلماء ترى أن التعليم العربي الذّي لحريته وترقيته هو جزء من التعليم العام الذّي هو وسيلة التثقيف، والتثقيف هو أشرف مقاصد الحكومات الرشيدة، وان الحكومات الرشيدة لتلتمس المعونة على تثقيف شعوبها من كلّ من يستطيعه من جمعيات وأفراد، وتبدل من التنشيط والتّيسير ما يحقق ذلك، فما بال الحكومة الجزائرية الاستعمارية تعاكس وتضع العراقيل في طريق التثقيف مع أنّها عاجزة- باعترافها عن تعميمه ونشره ؟ أليست تلك المعاكسات كلّها لأن التعليم عربي إسلامي**"[2].

وكتب مقالة عن فلسطين عنونها بعنوان : " في تصوير الفجيعة" يقول فيها: "**يا فلسطين ان في قلب كلّ جزائري من قضيات جروحا رامية، وفي حفن كلّ مسلم جزائري من مختل عبرات هامية، وعلى لسان كلّ مسلم جزائري في حقك كلّمة مترددة هي فلسطين قطعة من وطني الاسلامي الكبير[...] يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواة والتراب، والمآرب التّي يقضيها الشباب، فان هوى المسلم لك أنّ فيك أولى القبلتين وإنّ غفيك الأقصى الذّي بارك الله حوله**"[3].

وفي مقال بعنوان عبد الحي الكتاني*ما هو؟ وما شأنه ؟ نقدا لاذعا إذ يقول " **وإذا أنصّفنا الرجل قلنا: انه مجموعة من العناصر منها العلم ومنها الظلم، ومنها الحق،**

[1] المصدر نفسه، ص36.

[2] المصدر السابق، ص25.

[3] المصدر نفسه، ص 491-492.

ومنها الباطل، وأكثرها الشر والفساد في الارض–أطلق عليها لكثرتها واجتماعها في ظرف هذا المركب الذّي لا يلتقي مع الكثير منها في اشتقاق ولا دلالة وضعية"[1].

وفي مقال "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" **يرثي صديقه الشيخ عبد الحميد ابن باديس يقول: "يا ساكن الضريح ؛ مت ممات اللسان القوّال، والعزم الصوّال، والفكر الحوّال، ومات الشخص الذّي يصطرع حوله النّقد، ويتطاير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمت الاسم الذّي كانت تطنطن به الأنباء [...] وهنيا لك نحرك عند الله مما قدمت يداك من باقيات صالحات، وعزاك لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضع ثقتك الغالية فيهم، من إخوانك العلماء العاملين، الصالحين المصلحين، فهم كعهدك بهم رعاة لعهد الله في دينه وفي كتابه، وفي سنة نبيه"[2].**

فالتناص الداخلي عمل على كشف المعنى داخل نصّوص الإبراهيمي، فقد أعطى لنا خارطة المكان (الجزائر)، والزمان (إبّان الثورة التحريرية)، فالنص البشيري كمعطى ثقافي وترجمان للسيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية في الجزائر.

2. التناص الخارجي

1.2. التناص الديني

1.1.2.التناص مع القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم النص النَّثري المكتمل المعجز والملهم للأدباء لغنى آياته بطاقات لا تنفذ، وأسلوبه الفنيّ المعجز، وبلاغته المشرقة، إضافة لاحتوائه قيما فكرية وتشريعات سامية، فهو دستور شريعة، ومنهاجُ أمة. ويمثّل في اللغة العربية تاج" أدبها وقاموس لغتها

---

[1] الابراهيمي، عيون البصائر، ص315.

* الكتاني: هو السيد العلامة، المحدث المسند، المؤرخ التشابه المطلع، أبو عبد الأحد ، عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، ولد في مدينة فاس في جمادى الأولى سنة 1302هـ، ونشأ في أسرة علمية، من أهم مؤلفاته ،فهرس الفهارس والاثبات، التراتيب الادارية، مفاكهة ذوي النبل والافادة حضرة مدير السعادة ، توفي في مدينة نيس 1384/04/24، شبكة بالوكة.

[2] المرجع السابق، ص658 وما يليها.

ومظهر بلاغتها وحضارتها، ثمَّ فوق ذلك طاقة خلاقة بين الذكر والفكر. يجدُ فيها الذاكرون والمتفكرون لمسات سماوية تهتدي بها المشاعر وتقشعر من روعتها الجلود كلَّما تدبرت معانيها واستشعرت جلالها.[1]

فالقرآن الكريم يعدُّ رافدا غنيا؛ يستقي منه الأدباء ويستثمر طاقاته، لدعم إبداعاتهم ومواقفهم. وهنا تبتدئ الوظيفة الأساسية والمالية للتناص القرآني في تأسيس لغة جديدة. طافحة بالحيوية ومشحونة بطاقات عظيمة تُكسب العمل الإبداعي رونقا جماليا؛ فاستدعاء الأديب لألفاظ القرآن الكريم، أو قصصه، أو أحد شخصياته أو معانيه ينتقل بالنص من العقم والإنتاجية إلى نص مليء بالتجارب والحقائق، نصَّ خصب منفتح على آفاق علوية مشرقة مكتنزة برؤى متعددة الانفتاح الدلالي.[2]

والمتتبعُ لكتابات البشير الإبراهيمي يجد بأنه تأثر بشكل كبير بالنص القرآني واستحوذ استحواذًا كبيرا على ألفاظه ومعانيه وتأملاته، لما يساعد على تقوية الحجج والشواهد للتأثير في القارئ الذي لديه استعداد ليتأثر بكل ما هو ديني. لذلك ألفينا تداخل نصوص هذا الرَّافد في كتابات الإبراهيمي بكثافة لا محدودية.

وفي نصنا الحاضر الموسوم ب" **عيون البصائر**" نجد أنَّ الإمام البشير الإبراهيمي قد تأثر بأسلوب القرآن الكريم المعجز أحيانا بطريقة مباشرة، وأحيانا أخرى بطريقة غير مباشرة(متضمنا في كلامه).

وسنورد أهم المقاطع التّي استحضرها الكاتب من النص القرآني ممَّا يأتي:

نبدأ بالعنوان باعتباره العتبة الأولى التّي تقابل القارئ.

---

[1] ينظر: إبراهيم محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1969. ص6.

[2] ينظر: عطا أحمد، التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نبات المصري، بحث مقدم للمؤتمر الرابع لكلية الألسن جامعة ألمانيا، أبريل 2007، ص3.

عيون البصائر جاءت مادة " **عيون**" في محكم تنزيله بصيغة الجمع في تسع مواضع نذكرها في هذا المقام:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾[1]

قال أيضا : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧﴾ [2]

ووردت لقطة " بصائر" في خمس مواضع نذكر منها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾[3]

فقد شكَّل هذا العنوان محورا تناصيا، ونستدل لذلك بما قاله الإبراهيمي: " **ومازالت جمعية العلماء تتلمح العوامل الإلهية في كل ما تأتي وما تذر، وتستند على الإلهامات الربانية حتى في أسماء صحفها."[4] فالإبراهيمي نقيض روحه بالبصائر القرآنية مما انعكس ذلك في جلّ عيونه.**

ومما استهل به مقاله قوله" **وإن الصحف في لسان العرف كالصحائف في لسان الدينّ ومنها صحائف الأبرار، وصحائف الفجار، لذلك كان حظ الأولى الابتلاء بالتعطيل والتعويق**[5]" ويُحيلنا قوله هذا إلى الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ ﴾[6].

فهنا يُخيرنا عن الصحف الأربعة التي **أسّسَتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ وهي جريدة السُّنة النَّبوية المحمديَّة، جريدة الشريعة النبوية المحمديَّة، جريدة الصراط النَّبوي**، وأخيرا **جريدة البصائر** لبيان حالها، فقد قام بتحوير الآية بما يناسب مقاصده.

---

[1] سورة الحجر، الآية 45.

[2] سورة الشعراء، الآية 57.

[3] سورة الأنعام، الآية 104.

[4] المرجع نفسه، ص 79.

[5] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 79.

[6] سورة المطففين، الاية 13 14.

ورغبة منه إلى استهجان المنكر وإبطال الباطل، والعمل بما دعا إليه رسول الله صل الله عليه وسلم، وعدم مجاراة الاستعمار الفرنسي في قراراته والسكوت عليها قال" **فيا قوم [...] اعلموا أنّ سكوت الأوائل على المنكر لا يكون حجة على الله، وأنّ إقرار الأواخر له لا يكون حجة على دينه، بل لله الحجة البالغة على عباده، ولرسوله البينة القائمة على أمته، وما أتاكم الرسول فخذوه وهل مما أتانا الرسول أن نعطي النية في ديننا، وترضى باختيار المسحيين لأئمتنا**"[1] هو بذلك قد تناص بشكل واضح ومباشر قوله عزَّ وجلَّ:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ٧﴾[2] لينوه بخطورة عزوف العلماء عن العمل بمبادئ الدّين الذي أنزله الرحمان على رسوله الأمين لينير درب المسلمين. فهذا النص يتضمن قرائن صريحة تكشف عن مرجعيتها، وهذا ما يجعله يحتفظ بطابعه القدسي الذي يضفي عليه مصداقيته أكثر. فالناظر إلى علاقة النصَّ النَّثري بالنصّ القرآني يلاحظ جليا أنَّ التَّصرف ب النص السابق لا يتعدى التشكيل اللُّغوي، فالدلالة ظلّت على حالها، والفضاء الديني هو ذاته، بل جاء التوظيف مؤكدا للدلالة؛ ليبدوا تسليط الضوء على النص القرآني أوضح من الإحالة إلى واقع النص.

وفي موضع آخر حين ندد الكاتب بقرار الحكومة التي تُوجب الرخصة على المعلم قال" **إنّ عملية الرخصة بسيطة، وما هي إلاَّ طلب وأجاب، وقد امتحنا هذا القول فوجدنا الحكومة تيسر من رضيت عنه، وتعسّر على المغضوب عليهم**"[3] فهو هنا يستدعي بشكل فعّال قوله تعالى:﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ومعناها "**الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة له مبنية أو مقيدة، على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال**"[4] هذا المعنى الذي قام بهدمه وإعادة بناءه عندما حذف أداة النفي" **غير**" فأصبح " المغضوب عليهم"، للدلالة على فئة من النّاس لم تَسْلم من ظلم وجور قرارات الحكومة؛ حيث يسعى الكاتب إلى توسيع فضاء المعنى في نصه وتعميق التأثير في الملتقى من خلال نصوصه المتناقصة.

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ط1، 1997،ص152.

[2] سورة الحشر، الآية7 .

[3] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 50.

[4] الرازي(محمد الرازي فخر الدّين): مفاتيح العنيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط1، 1981، ص 49.

وفي مقال آخر له عُنْون ب: " **إلى أبنائنا المعلمين الأحرار**" أشار إلى بطش الحكومة ومنعها إعطاء حقوق الشعب الجزائري، وشبهها بالذّي يمنع الماعون على وجه العارية أو الهبة، وهذه الأخيرة تُحيلنا إلى الآية الكريمة التي يقول فيها عزّ وجلّ ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾[1].

قال الكاتب في نصه" **فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعها، فمن ذا يعمل لها؟ الحكومة؟ وقد رأينا من معاملتنا لنا أنّها تمنع الماعون، وتُداوي الحمى بالطاعون، وتبارز الإسلام بالمنكرات، وتجاهر العربية بالعدوان، فمن ضلّ منا مع هذا فقد ضل على علم، ومن هلك فإنما هلك على بينة**"[2]. فهو بذلك تحث على فعل المعروف وعمل الخيرات ويستهجن ما تقوم به الحكومة لسلب خيرات الوطن.

وفي مقال آخر عاتب الكاتب أمته لأنها لم تدافع عن دينها الذّي أصبح في قبضة الاستعمار الفرنسي، وفي يد الحكومة وهاته الأخيرة يراها الكاتب بأنها حكومة ضالة ومنافقة، أمَّا الأمر الكبير الذّي أبغضه فهم جماعة من الأئمة الذين رضخوا للاستعمار الفرنسي ورضوا بأن يتدبر في شؤون الإسلام والمسلمين، ناسين حق دينهم وأمتهم عليم فهؤلاء معينهم الكاتب بالمنافقين الضّالين ونستدل بما قاله :" **والدين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر: مظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة، لا بما يوحيه الحق والعدل[...] ولا نتحدث عن الغابرين الذين فرطوا في جنب دينهم حتى أضاعوه من أيديهم فأضاعوا الرشد ورضوا بالحجر، كمن أضاع السفه أرضه، وقنع بأن يبقى فيها أحبرًا لا نتحدث عن هؤلاء الذين أضاعوا التراث، وتركونا نحاول انتزاعه من بين الأنياب والبراثين فهم أمته خلت: إلى الله إيابها، وعليه حسابها**"[3] لقد استعمل الكاتب آلية الباراكرام (كلمة المحور) التي تعد من آليات التمطيط في توظيف التناص: ومثال ذلك الكلمة المحور" **الظلم**" التي تكررت خمس مرات، إذ عملت على توسع النص الداخلي وتمدده، إذ جرت عليه تصريفات مختلفة. كما وظف تناصا من القرآن الكريم عبر آلية

[1] سورة الماعون، الآية 7.

[2] البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص130.

[3] المرجع نفسه، ص137.

الإيجاز. والغرض منه تخويف الأئمة من عقاب الله والتذكير بأنه لابدَّ من يوم يرجعون فيه فيحاسبهم حسابا شديدًا. وفي ذلك يوم الآخرة، فيتوعدهم بالانتقام والحساب الشديد. وقد جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[1].

ومن التناصات الخارجية قوله: " **وأنها تعد وتمني وما تعد إلا غرورًا**"[2] تناص من القرآن الكريم في قوله تعالى﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠ ﴾[3] عبر آلية الإيجاز.

وفي مقام الواعظ المرشد، يربط الإبراهيمي على قلوب أبنائه المعلمين الذين تحبذوا في صفوف التعليم الحر ويشجعهم لأداء وأحبهم، فيذكرهم بسنة الله في خلقه قائلا: " **وإن أدري أقريب أهم بعيد ما توعدون، إنّه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون**"[4] ويلاحظ من العبارة تناصين؛ الأول لمثل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩﴾[5]، و أمّا الثاني فيمثل الثواب الذّي أعدّه الله لعباده الصابرين، وقد أخذ من قوله تعالى: " ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾[6]

والواضح من هذه المقاربة أنَّ الإبراهيمي جاد في اعتبار مهمة المعلم خطيرة في تلك الفترة من التاريخ.

كما استحضر الإبراهيمي النص القرآني الذي يقول فيه سبحانه و تَعَالَىٰ:﴿أَسْبَبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾[7] في نصه المقالي الذّي يشبه من خلاله قصة فرعون مع موسى عليه

[1] سورة الغاشية، الآية 25، 26.
[2] محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص53.
[3] سورة النساء، الآية 120.
[4] البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص55.
[5] سورة الأنبياء، الآية 9.
[6] سورة هود، الآية 48،49.
[7] سورة غافر، الآية 37.

السلام لحالة الاستعمار الفرنسي مع الشعب الجزائري، وهي حاله واحدة قائمة على الظلم والاستبداد والجبروت، فقد قام بتداخل لغوي مع ألفاظ الآية :زُيّن للاستعمار سوء عمله فطغى وبغى، وكفر وغنى، وأتى من الشر ما أتى[1].

وفي موضع آخر دعا الكاتب للقرآن الكريم، حيث قال الكاتب المحتل إلى ضرورة تحكيم العقل والضمير في تعامله مع الشعب الجزائري، فلجأ إلى الاجترار الذي تتشكل في اللغة بواسطة التناص الحرفي للقرآن الكريم، حيث قال **فتعالوا يا قوم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نتعاون على خرير الأديان، تم لكم علينا أن نتعاون على ما فيه الخير}**

استحضارا لقوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]

ورغبة منه لإبراز قيمة المعهد الذي أنشأه ابن باديس ودوره في نشر وإعلاء قيمة المعلم والمعرفة والقضاء على الجهل و الخرافة والعصبية قال فيه" **فللمعهد نظامه الصارم في تربية أبنائه على الدّين وفضائله، وليخسأ كل أفاك أثيم**"[3] نلاحظ مما قال أنَّ الكاتب قد اعتمد على التناص الجزئي من الآية القرآنية **قَالَ تَعَالَى**:﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [4]

مع تغيير في بعض الدوال ليصبح الخطاب دالا على مخاطب معاصر يحمل العداوة والخصام لمشاريع الجمعية وأعمالها الخيرية، وليس أبا جهل الذّي يروي عنه التاريخ وتحدثنا به كتب السيرة.

ويواصل الكاتب استلهامه من القرآن الكريم متحدثا عن مأساة الثامن ماي التّي أثرت في نفسيته واستولت على فكرته نظرا لحضورها القوي في ذاكراته فيقول: "**أمة كالأمم حلّت بها**

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص173.

[2] سورة آل عمران، الآية64.

[3] الإبراهيمي، عيون البصائر،ص216.

[4] سورة الشعراء، الأية222.

ويلات الحرب كما حلت بغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري والخوف.."[1] والنص القرآني الذي اشتغل عليه الكاتب هو قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2]

ولعل أن يكون المعنى الذي أنتجه التداخل النصي هو الدّرس، الاعتبار من تاريخ الأمم والجماعات. ذلك أنّ ما أصاب الشعب الجزائري إبّان الثامن ماي المشؤوم هو نتيجته صنعته لبعده عن هدى الله وسنة نبيه صل الله عليه وسلم، ويمكن أن نلحظ كيف حوَّر الكاتب هذه الآية فأضاف إليه كلمة " العرى" إمعانا في الأزمة الحاصلة وتعميقا لها.

ومن قبيل التداخل النصّ أيضا قول الكاتب في رده على أصحاب مشروع الجزائر فرنسية: "كبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء المستعمرين الجبارين..."[3] فيستحضر دوال الآية الكريمة التّي يقول فيها تعالى ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[4] ، وهو تداخل لغوي جزئي يوظفه الكاتب للتعبير عن سخطه ورفضه لما كان يروج له الاحتلال الفرنسي من دعاوى الفرنسية والإدماج، والتكذيب والاستنكار لهذه الافتراءات التي يضعها في ميزان الشرك بالله. وفي السياق نفسه، نسجل تناصا في قوله: " **ثم أرجع البصر في دنيا وقوانينها التي سيسوسنا بها الاستعمار، نجد ذلك المعنى نائحا في كل حرف منها، فائحا في كل كلمة من كلماتها**"[5] وذلك من خلال استحضار النص الغائب والتعامل معه بطريقة الامتصاص للآية القرآنية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص54

[2] سورة النحل، الآية 112.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ،ص348.

[4] سورة الكهف، الآية5.

[5] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 362.

﴿ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [1] يمتصها دلاليا للتعبير عن استيائه من القوانين الفرنسية الجائرة التّي تصرّف بها شؤون الجزائريين وترفع لها شعارات جوفاء رائفة لا حقيقة لها في الواقع.

وأمّا عندما ينتقل الكاتب إلى الحديث عن السياسة الفرنسية في الجزائر، فإنّه يتفاعل مع النص القرآني ويستنصص آياته ومقتبسا ذلك من قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [2]

وُيشير من خلال هذا التناص إلى عواقب الثقة بالوعود الكاذبة للحكومة الفرنسية، ويستشف القارئ دلالة هذا التفاعل النصي حينما ترتسم في ذهنه صورة فرنسا كشيطان يحاول أن يستدرج ضحاياه إلى الهلاك فوجب الحذر منه.

وفي موضع آخر نقرأ له هذه العبارة:" **وجاءت فرنسا بالخاطئة**" [3] لتلتقي مع قوله تعالى:﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩﴾ [4]

فالكاتب يستحضر هذه الآيات من سورة الحاقة وما توحي إليه من حقائق تاريخية تثبت صدق الرسالة المحمدية، ثم يتجاوز سياقها الزَّمني ويلبسها دلالات معاصرة تتضمن تهديدا للمحتل وتحذيرا له من عاقبة الطغيان. ويظهر التقاطع النصي واضحا في حديثه عن الأحزاب في الجزائر، فيقول: " **إن هي صفوفكم دّساسين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد، وإنكم لتعرفوهم سماهم وتعرفوهم في لحن القول**" [5] ليتداخل مع النص القرآني في قوله تعالى﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠﴾ [6].

---

[1] سورة الملك، الآية4.

[2] سورى النساء، آية 120.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، هـ عب، ص423.

[4] سورة الحاقة، الآية9.

[5] محمد البشير الابراهيمي، ع ب، ص302.

[6] سورة محمد، آية 30.

فالتداخل النصي إنَّما جاء على شكل توظيف جزئي لهتين العبارتين "سماهم" و" لحن القول" مع استبدال وإعادة إنتاج الآية السابقة التّي تمثل النص الغائب من خلال علاقته التناصية مع النص اللاحق لتوليد الدلالة الجديدة التّي تفضح المنافقين وتكشف صفاتهم.

وبالمنطق السياسي نفسه يتعرض الكاتب لشخصية بارزة في المجتمع الجزائري استطلاع العدو الفرنسي أن يستميلها إليه لتنفيذ خططه، والخضوع لأوامره، إنَّه "**العاصمي**" الذي تناوله الإبراهيمي بأسلوب ساخر حاد، جاء فيه " إنّ العاصمي لا ينطق عن هواه وإنّما ينطق عن وحي ساداته ومواليه"[1]. ومن الجلي أنّ النص القرآني الموظف هنا هو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2]، فهو يعبر من خلال هذا التناص عن درجة الانصياع والانقياد للمحتل.

وفي موقف آخر، نرصد تناصا في قول الكاتب: "**ويومئذ يستيقنون أن هذه الحكومة كانت نغرى بيننا العداوة والبغضاء لمصلحتها لا لمصلحتنا جميعا ولا لمصلحة فريق.**"[3] ويتضمن هذا النص دلالان من قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [4]

يستحضرها الكاتب ويدمجها في خطابه قصد إثراء مضمونه وتجسيد حالة الضياع والفوضى التي كان يعيشها أفراد الشعب الجزائري مع المحتل البغيض (الشيطان) الذي كان يعمل على تعميق الخلاف وزرع بذور الشقاق بينهم لإضعاف قوتهم، وإسكات أصواتهم المطالبة بالحق.

ويستلهم الكاتب دلالات النص الغائب (القرآن الكريم) في سياق حديثه عن سياسة فرنسا الهادفة إلى تجهيل الأمة وحرمان أبنائها من حقهم في التعليم، فيقول: "**فأفسد**

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص101.

[2] سورة النجم، الآيتان 3و 4.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص139.

[4] سورة المائدة، الآية91.

الاستعمار أخلاقهم ووهن عزائهم، وفرَّق بين أجزائهم لئلا يجتمعوا، وقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم لئلا يذّكروا، وضرب بينهم وبين العلم بسور له باب".[1] فالنص يُدين بما ينطوي عليه من دلالات لقوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ، ويتناص معها عن طريق امتصاص مضمون الآية وتغيير دوالها لتوليد دلالات جديدة تعكس تجربته الفنيّة، وتعبر عن أدبه المقاوم.

كما نلاحظ الاستحضار الإشاري لقصة عاد وثمود وما توحي به من ظلال تاريخية تجعل القارئ يسترجع دلالاتها الواردة في عدّة سورة قرآنية، فيكون مصدر النص الحاضر متعددا ومن قبل ذلك قول الكاتب: " **إنّ هذه المكيدة ستلصق بكم شبَّة الدهر وستجعلكم أشأم على جنسكم ودينكم من عاقر الناقة،**"[3] إنه تداخل نصي بشكل امتصاصي إشاري مع قوله تعالى في سورة الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾[4]

وقوله أيضا في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[5]، واحتلت هذه القصة حيزا لها في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[6]

فجاء التناص من متعدد يربط السياق القرآني بالسياق المقالي ويمنحه دلالات معاصرة تتجاوز المعنى التاريخي لقصة عاد وثمود وعقر النَّاقة، وتكشف الغطاء عن مكر

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي ع ب، ص469.

[2] سورة الحديد، الآية13.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، عب، ص188.

[4] سورة الشمس، الآية 14.

[5] سورة الأعراف، الآية 73.

[6] سورة الحاقة، الآية 5،8.

المحتل في محاولته لفرض وصايته على الدين الإسلامي في هذا الوطن، وانتزاع ثقة بعض الجزائريين بهذا المسعى الذي لا يقل خطورة وفظاعة في نظر الكاتب عن عملية الاعتداء على ناقة الله المذكورة في كتابه العظيم.

وفي ضوء هذه الدراسة التناصية حول فاعلية النص القرآني في مقال الإبراهيمي، يمكن أن نخلص إلى أن توظيف الكاتب للنص الغائب (القرآن الكريم)، قد أسهم في إثراء مضمون النص الحاضر بالدلالة المتنوعة، وإشباعه بالإيحاءات والإشارات الدينية والتاريخية التي منحته جانبا من قداسة الخطاب.

كما نجد أن التعامل مع النص القرآني، قد تم وفق مستويات تناصية مختلفة تراوحت بين الاقتباس الحرفي أو الاجترار لدوال النص الغائب بشكل نمطي ثابت يفتقد إلى الحيوية والتفاعل في إنتاج الدلالة، والتناص الامتصاصي الذي يتواجد خلال امتصاص مضامين الدلالة، والتناص الامتصاصي الذي يتواجد خلال امتصاص مضامين الآيات القرآنية ودوالها وإعادة نشرها في النص الحاضر، ويعتبر هذا المستوى أعلى درجة من سابقه، وخطوة متقدمة في النضج الإبداعي والفني لدى الأديب.

والآتي جدول يبين مواضع أخرى لتناص الإبراهيمي من القرآن الكريم:

النص	عنوان المقالة ورقم الصفحة	اسم السورة	الآية المتناص معها
إن العاصمي لا ينطق عن هواه، وإنما ينطق عن وحي ساحاته ومواليه	فصل الحكومة عن الدين ص89	النجم	قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾
ولا يجدان من دونه وليّا ولا نصيرا	فصل الحكومة عن الدين ص94	النساء	قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

			﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾
شهر رمضان ظرف زماني للدين، فكل حديث فيه عن الدين عبادة	فصل الدين عن الحكومة ص96	البقره	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾
ولعل مكتب غاشية من (رحال الدين) تطرق الأبواب خلسة	فصل الدين عن الحكومة ص100	الغاشية	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾
وما ظنُّ الناس	فصل الدين عن الحكومة ص104	٦٠	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾
لم تمثل من سنة الله إلا جعل الليل لباسا	فصل الدين عن الحكومة ص107	النبا	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾
يا قوم...إن الأيام دول	فصل الدين عن الحكومة ص12	القدر	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

			﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾
يوحي شيطان الاستعمار إلى الحكومة وحيا متابعاً لا فترة فيه. فإذا تلقت الوحي ونزل به الرُّوح الخيب على قلبها تحمته على فترات، وأوت في كل فترة إلى أوليائها ما يثير شرا، أو يوقظ فتنة، وقد أصبح المجلس الجزائري اليوم متنزل وحيها، فلا تمني فترة إلا أوحت إليه شيئا من ذلك النزع الذي يشير أو يوقظ الفتن.	فصل الدين عن الحكومة ص125	القدر	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾
وهو أن تستأثر وحدها بتلك المجموعة الباديسية من فكر ثاقب ورأي أصيل وعلم غزير ولسان مبين.	الرجال أعمال: محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس إماما النهضة العلمية بالشمال الإفريقي	النحل	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾
وعلمنا علم اليقين، أن أعمال الغابرين والحاضرين منهم هي التي أفضت بالإسلام	السلطان محمد بن يوسف ص679	القارعة	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥﴾

والمسلمين إلى هذه المنزلة من الحطة والهوان			

2.1.2.التناص من ألفاظ النص القرأني:

لم يكن استحضار الإبراهيمي للنص القرآني مجرد اجترار سكوني لآياته الكريمة التي تأصلت في صدره قبل أن ترى النور عبر كتاباته النثرية المختلفة؛ حيث نجده يُعبر عن فكره عن طريق استعمال ألفاظ القرآن الكريم التّي يُدمجها ببراعة وقوة داخل خطاباته النثرية فتحدث دلالات سياقية جديدة نذكر منها:

لفظة المرصاد التّي تعني الموضع الذي ترصد الناس فيه كالمضمار: **الموضع الذي تضمر فيه الخيل من ميدان السباق ونحوه، والمرصاد والمكان الذّي ير صد فيه العدو**"[1]، ففي قوله : " **فلتعلم هذه الحكومة السائرة على منهج لا يتبدل في احتكار أمور ديننا أننا سائرون على منهج لا يتبدل في المطالبة بحقنا الدين الطبيعي، وفي التّظلم منها والتشنيع عليها، وأننا لها بالمرصاد.**"[2] فهذا الخطاب الإبراهيمي الموجه إلى الحكومة الاستعمارية تجسد تمثيلا لعموم علم هؤلاء المطالبين بحقهم الطبيعي في ممارسة شرائعهم الدينية خاصة منها فريضة الحج، ويقظتهم المشتعلة إزاء أفعال تلك الحكومة فهم مترقبون بعين واعية لما يكون من أعمالهم وحركاتهم، وهذا ما يجعلنا نسترجع قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[3] فالكاتب يجتزئ قطعة من ذلك النص السابق، ويضعها في نصه الجديد بعد توطئة مناسبة لها، فمن المفسرين من يخص هذه الآية إمّا بوعيد الكفار، أو بوعيد العصاة، أمّا الأول فقال (الزجاج): يرصد الله من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب، وأما الثاني فقال(الضحاك) يرصد لأهل الظلم والمعصية[4] أمّا الكاتب فيخص لفظة (بالمرصاد)، رصد أصحاب ذوي

[1]ابن منظور، لسان العرب، مادة رصد.

[2]الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 73.

[3]سورة الفجر، الآية14.

[4]ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر،ج31، ط1، 1981م، ص 170.

الحقوق الإسلامية بالجزائر لكل هفوت ظلم وتعسف واستبداد تصدر عن الحكومة الاستعمارية، وتمص شريعتهم ومبادئهم وانتمائهم الديني؛ حيث جعل النص الغائب يتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص الحاضر.

كما قال الإبراهيمي بتضمين لفظتي (ترجف – الراجفة) التي تعود في الأصل إلى (الرجفة) على وزن (الفَعْلَةُ) من قول القائل: "**رجف بفلان كذا يرجف رجفا**"، **وذلك إذا حرَّكه وزعزعه**[1]، في قوله:" **وجدوا في القرآن وفي الوصاية النبوية وفي عهود الخلفاء الراشدين ما يرد عنهم الشرور والغائل، حتى أصبح هذا الشمال ملاذا لكل من ترجف به راجفة في أوروبا من اليهود**" [2]، الذي يُحيلنا إلى استدعاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾[3]؛ حيث نجد الكاتب يعيد كتابة ألفاظ الآية الكريمة ضمن سياق مختلف محورا بنيته الأصلية؛ ليضمن استقلالية النص الحاضر جزئيا، يهدف إلى وضع المتلقي أمام صورة جديدة تجسد سماحة الدين الإسلامي الذي يعدُّ ملاذا مقنعا لكل باحث عن الأمان والطمأنينة والراحة النفسية وعاصما قويا لكل البشر مسيحيون ويهود وغيرهم من أشكال الظلم والتعسف التي لا يجدون لها حلا ساميا إلا في مبادئ الدين الإسلامي الذي يزجروا الظلم، وينصر ما حقا ويبطل ما هو باطل.

[1] عبد الرحمان عميرة، دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عالم الكتب ج1، ط1، 1992م ، ص"313.

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص79.

[3] النازعات الآية 6.

3.1.2.التناص مع القصص القرآني:

يعتبر القصص القرآني المرآة العاكسة لحقيقة الدين، والموجه لسبل إرضاء ربّ العالمين، وبها نستدل إلى سنن الله في الحياة فطبائع الانسان لن تتغير ولن يبدل جوهره عبر القرون. فالقصص "أداة للإصلاح الاجتماعي وقياس للحكم العادل وإبعاد الهوى، وإثبات لبعض الأحكام الشرعية"[1]. فالإبراهيمي يشكلّ القصص القرآني في كتابه.

قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام:

إن الكاتب حينما ينتج نصّه تنفتح مخيلته على مخزون لغوي وثقافي ليخضع للتشكيل الجديد، والمتلقي أيضا حينها يتلقى النص ذاته تنفتح ذاكرته على نصّوص مختلفة اختياريا أم تلقائيا.

وهنا نجد الإبراهيمي قد استعمل تقنية التلميح في قوله:

"**وإن هذه الحكومة تقدم التجريب على التخريب، وقد جرّيتكم فوجدت منكم جدارا متداعيا للسقوط، فما أقامته بل خربته؛ لأنه لم يكن لغلامين يتيمين في المدينة، ولا كان تحت كنز لهما، ولا كانت تنظر بعين صاحب موسى**"[2]. فالكاتب استحضر بصورة متقطعة ومجتزئة قصة سيدنا موسى مع الخضر من قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[3]

فهذا المقطع يدل على ثقافة الكاتب الدينية، فالإبراهيمي قام بمحاورة هذا النص الغائب، في أعماق ثقافته الدينية، مستدعيا قطعا منه بصورة متفرقة : (فوجدت منكم جدارا متداعيا للسقوط) . (لم يكن لغلامين يتيمين في المدينة)، بعين صاحب موسى أحالنا بصورة مباشرة إلى قصة الخضر (العبد الصالح) مع سيدنا موسى – عليهما السلام وخاصة أن

[1] أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القراني ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1986م، ص8.
[2] الابراهيمي، عيون البصائر، فصل الدين عن الحكومة، ج3، ص123.
[3] سورة الكهف. الاية 65-66.

الخضر يعرف يقينا فشل موسى في هذا الاختبار، فأراد أن يُلح في تبليغ الاختبار إلى موسى.

وهذا ما أراد الإبراهيمي تحقيقه من خلال إنتاج دلالة إيحائية ترتبط بأفعال الحكومة اتجاه الأمة، والرابط المشترك بين هذه الحكومة وقصة سيدنا موسى مع العبد الصالح هو الإدراك المسبق بفشل الطرف الآخر في الصبر على المحن والصمود أمام الأزمات والمشاكلّ.

قصة سيدنا "يوسف – عليه السلام-

تزخر قصة يوسف عليه السلام بالجمالية ذات الأساليب المتنوعة وعرفت صدى واسع المدى، وأثرت في الأدب العربي شعره ونثره لأسلوبها الفريد في ألفاظها وتعابيرها وأدائها القصصي الممتع فهي إنسانية تلعب فيها العواطف البشرية الدور الأول فيؤثر في سير الأشخاص. فالإبراهيمي استلهم من القصة قوة التأثير في الأجيال الصاعدة التّي تمثل مستقبل الأمة فكانت نصّوصه غنية بالإيحاءات ونستدل لذلك في قوله "**أنتم يا أبناءنا نتاج هذه الحركة العلميّة المباركة وأنتم غلة سنة خضراء بين سنين يابسات**"[1] واقتبس مشهدا من قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع تعبير رؤيا الملك من خلال قوله عز وجلّ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾[2]، فقد كان تعبير يوسف من خلال فك رموز الرؤيا بعد أن اعتذر مفسرو الأحلام والمنجمين عن تعبيرها كما يأتي :

-بقرات سمان – سنين خير

-بقرات عجاف -سنين المجاعة

-سنبلات خضر- مؤونة كثيرة

[1] البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص 314.

[2] سورة يوسف الآية 43.

–سنبلات يابسات– مؤونة قليلة أو معدومة

ويذكرنا هذا الحلم الفرعوني بأسطورة "جلجامش الرافيدينية حيث تمر سبع سنوات مجاعة تستعدوا لها الآلهة عشتار"[1].

و النص الإبراهيمي المستلهم من رؤيا ملك مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام يجعل المخاطب يكون مصدر ذلك الحكم الأسطوري بشقة الايجابي، الذّي يبعث الأمل في النفوس ؛ حيث قام الكاتب باستبدال لفظة سنبلات بلفظة سنة بصيغة المفرد التّي ترمز إلى التفرد والتميز عن باقي السنوات التّي ترمز إلى سنوات الضياع؛ حيث تتميز لفظة "سنة" عن لفظة " سنين" بمرجعيات إيحائية تتمثل في:

- سنة خضراء: تدل على: الظلام، الجهل، الذل والهوان، القهر والضعف، الظلال، الاستعمار...

فالرؤيا هي " جوهر مضمون السورة والتّي امتلكها نبي الله يوسف عليه السلام بينما كانت من حيث السورة ككلّ بمثابة رؤيا لمستقبل الدعوة على مستوى الواقع"[2] القصة هي الملكة

قصة الأسباط:

قال الإبراهيمي: " **العلم ... العلم أبها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب، ولا المجامع صخاب، ولا يفتننكم عنه منن وفي خنقة، ولا ملتو في زنقة"، ولا جالس في الأسباط على بساط، يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط، فكلّ واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب وساحر كذاب**"[3] .

[1] داود سلمان الشويلي، تجليات الاسطورة(قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني)، العراق، 2005م، ص38.

[2] علم غانم جثير: سورة يوسف صورة للحرب النفسية في المرحلة المكية، مجلة أبحاث البصره، المجلد 37، ع1، 2012م، ص113.

[3] البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص316.

لقد قام الإبراهيمي باستدعاء قصة الأسباط المذكورة في القرآن الكريم بشكلّ غير مباشر، عمد فيه إلى الإيحاء بالنص الغائب، من خلال التلميح إليه، بصورة لا شعورية، انتظمت انتظاما شفافا مع سياق النص الحاضر. حيث أحالنا هذا المقطع من قوله " **يحاكي فيكم سنة الله في الاسباط** " من ذلك الخطاب الموجه إلى تلامذة جامع الزيتونة والقرويين إلى استدعاء قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[1]

و قوله أيضا: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾[2]

ورد ذكر الأسباط في النص القرآني ويقصد بهم: " **الاحفاد وأحدهم سبط، وهم أبناء يعقوب الاثنا عشر وذراريهم، وخصهم الذكر، لأن أهل الكتاب يعترفون بنبوتهم وكتبهم**"[3].

فقد دعى (الإبراهيمي) هؤلاء التلاميذ إلى المضي قدما في طريق العلم، وأن يتخذوا جميع العوائق التّي تواجههم وتضيق سبيلهم كما يدعوهم إلى الاتحاد، الذّي يضمن قوتهم، ويزيد عزيمتهم على مجابهة الصعاب، مبينا عواقب الحزبية التّي تفرق الجماعة وتضعفها، متخذا من قصة الاسباط* رمزا حيا لحال التشتت والتفرقة.

---

[1] سورة الأعراف الآية 160.

[2] سورة الأعراف الآية 168.

[3] المراغي(أحمد مصطفى)، تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص202.

***الأسباط: ورد ذكرهم في النص القرآني ويقصد بهم: الاحفاد واحدهم سبط، وهم أبناء يعقوب الاثنا عشر وذراريهم، وخصهم بالذكر لأن أهل الكتاب يعترفون بنبوتهم وكتبهم.**

3.2.التناص مع الحديث النبوي الشريف:

تأتي الأحاديث النبوية بعد القرآن الكريم في الأسلوب والمعنى، لأنّ أحاديث الرّسول محمد- صلى الله عليه وسلم- وحيُ تبينيّ لما أُجمل في القرآن الكريم. قال سبحانه وتعالى في وصف كلام الرَّسول محمد صلَّ الله عليه وسلم:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]

وتتصل الأحاديث النبوية بالقرآن الكريم من حيث المضامين واللغة والأساليب البلاغية، وليس من الغريب أن يميل البشير الإبراهيمي إلى استدعاء الأحاديث النبوية في كتاباته ويغترف من أحكامها، ويحتج بها في آرائه وأفكاره، ويستثمر لغتها وصورها.

فقد أدرك الكاتب الأهمية البالغة التي يحض بها الحديث الشريف وأثره على نفوس المسلمين، فأخذ ينهل من معانيه ويعيد كتابتها لتنفجر دلالات جديدة تعبر عن تجربته الفنية وتعكس سعيه الدائم إلى إشباع أخلاقيات القارئ وسنذكر أهم النصوص التي تناصت مع الحديث النبوي الشريف ومن العينات المختارة للاستشهاد ما يأتي:

- يقول الكاتب في مقاله له عُنْوِنُ بـــ: "**الّدين المظلوم**":" **وسيعلم المتمادون على العناد أننا محضنا النصح، والدين النصيحة**"[2] هذا النص يُحيلنا إلى حديث عطاء بن زيد، عن تميم الذاري؛ أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: {{ الدّين النصيحة}} قلنا: لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[3] ويعني هذا الحديث أنّ الدين يقع على العمل كما يقع على القول. والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وتكون هذه النصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم لمصالحهم في الدنيا والآخرة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ويعتبر هذا

[1] سورة النجم، آية3.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص138، 139.

[3] صحيح مسلم، ،ج1،ص313.

التناص تداخلا نصيا بين النص الحاضر والحديث النّبوي على أساس الامتصاص الدلالي لاحتواء بعض الدوال اللغوية الحديثة في النص الحاضر.

وفي مقال آخر بعنوان: **التعليم العربي والحكومة:** "وقلنا لها (فرنسا): **إنّ هذه الأمة أصبحت منك بمنزلة الهرّة التي دخل صاحبها النار بسببها، لأنه لم يطعمها، ولم يدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا أنت عامت الدنيا، ولا أنت سمحت لنا بتعلم الدين**"[1]

إحالة إلى الحديث الشريف: {{عذبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النّار، لاهي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها، ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض}}[2] فقد عبر الكاتب عن صورة معاصرة لزمانه ومماثلة لتلك التي حدثت إبان الاحتلال الفرنسي الذي منع العلم عن الجزائريين، فلا هو علمهم الدنيا، ولا هو سمح لهم بتعلم الدين. فبهذا التفاعل النصي جعل القرآء يتصورون مصير فرنسا جراء صنيعها المشئوم من خلال توظيف قصة المرأة، القصة وقد وظف التناص بطريقة اجترايه أي أنَّها " **خالية من التوهج وتفاعل النص الحاضر مع النص السابق**"[3] دون أن يجرّد الخطاب الأدبي من جماليته.

وفي موضع آخر تناص الإبراهيمي مع حجة الوداع للنبي محمد صلّ الله عليه وسلم في مقاله المعنون بـــ: **ثلاث كلمات صريحة** ": **فقمنا بواجبنا، ولم نقم بواجبها، فاللَّهم اشهد**". وفي مقال آخر بعنوان: **أمّا عن الشمال الإبراهيمي** " **ألا هل نعلت؟ فاللهم اشهد**" فقد قال نبينا العدنان: "**فلا يحلّ لأمرئ من أخيه إلا من أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل نعلت؟ فذكر لي أنّ النّاس قالوا: اللهم نعم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد**" فقد وظف هذه الخطبة النبوية من باب التبليغ والتثبيت. وامتص هذا الحديث امتصاصا اجترارايا كما في المثال الذي سبق.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص221.

[2] صحيح مسلم، م، س، ج7، ص500.

[3] جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، م س، ص 205.

وقوله أيضا: "**وماذا صنعت في قضية الإسلام مع الاستعمار في الجزائر، هل أمرت بمعروف أو نهت عن منكر في هذه القضية...؟**[1] يتناص مع قوله صل الله عليه وسلم "**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"[2] ليُسقطه على النص الحاضر مستعملا دلالاته للتعبير عن موقفه من المسيحية التي كانت تستظل بلواء الاستعمار في الجزائر، وتأتمر بأمره باسم الدين، والأديان السماوية الصحيحة النسبة إلى السماء لا نلتقي مع الظالم في قضية، ولا نتقاطع معه في شر، ويظهر أنّ الكاتب لم يقتصر على استدعاء جزء من الحديث النبوي، ودمجه في نصه الحاضر، بل أدخل عليه شيئا من التحوير بأسلوب راق.

وفي موضع آخر يقول:" **ولو أن عبد الحي كان غير من كان، ونزل باسم العلم ضيفا على الأئمة الجزائرية غير متحيز إلى فئة، وغير مسير بيد، وغير متأبط لشر للقي منها كل إكبار وتبجيل، ولو أضافته على الأسودين التّمر والماء؛ وإن ذلك لأعظم إعلاء لقدري وإعلاء لقيمته**"، تناص مع الحديث النبوي الشريف " **قال محمد بن يوسف عن سفيان، عن منصور بن صفية، حدثتني أمي، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شبعنا من الأسودان التمر والماء**".

وفي موضع آخر يتناص الإبراهيمي مع الحديث الشريف في قوله: "**وتوصلت (المسيحية) إلى الاستعمار الذي يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، فقطعت معه البحار وأوغلت معه البراري والقفار**"[3]، تناص مع قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان "**أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خبر، وشره**"[4]، فهو بذلك يكشف صورة المسيحية الغربية في الجزائر والتي تتناقص مع حقيقة دعوتها القائمة

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، م س، ص125.
[2] صحيح مسلم، مس، ج1، ص297.
[3] محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص125.
[4] صحيح مسلم، من، ص187.

علـى عقيـدة الإيمـان والغيبيـات والكتـب والرسـل، والتـي تطمـح إلـى العـدل والحـق والنـور وتتحالف مع الاستعمار للحماية والرعاية، فاتخذها بذلك أداة للملك والتسلط، فنستنتج هنا أن الاستحضار جزئي للحديث النبوي الشريف.

ويمكن أن نرصد أدبية التعالق النصي في قول الكاتب:" **أمّا رضي الخصم الشجاع لخصمه بالأصفاد والأغلال فهو غميزة في الشجاعة، ونقيضه في الكفاءة**"[1] مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: {{ إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم}}[2]. وهو تناص قائم على أساس استحضار للنّص الحديثي في الخطاب المقالي بشكل تلميحي واشاري بحيث لا يتمدد النص الحاضر كثيرا في النص الغائب. أما داعي الاستعمال هو سخرية الكاتب من منطق فرنسا التي تمادى في مواجهة خصم ضعيف أعزل لا يملك من أسباب القوة والوسائل ما لديها.

ومن قبل التداخل النصي أيضا قول الكاتب: "**وقبل وبعد فإن هذه القضية التي نصفها اليوم، شهادة قاطعة على ظلم الاستعمار، ونموذج من تعنته ومصادرته للحق**"[3] يحيل هذا النص إلى حديث أبي ذر عن النّبي صل الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: {{ **ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا** }}[4]، فالدلالة الجديدة الناتجة عن عملية إعادة إنتاج النص الغائب من خلال علاقته، بالنص الحاضر، لا تقتصر على تقديم صورة المحتل وعلاقته بالظلم وهي علاقة لزوم، بل تتعدى ذلك لتجعل القارئ يتأكد من حقيقة تحريم ظلم الإنسان للآخر وتطاوله

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص128.
[2] صحيح مسلم، مس، ج8، ص471.
[3] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص224.
[4] صحيح مسلم، م ن، ص375.

عليه، كما ينصرف إلى الذهن نص حديثي آخر للنبي صل الله عليه وسلم يثبت هذا الحكم ويقويه، ويقول فيه نبينا :{{**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**}}[1].

ومن نماذج التناص الحديثي قول الكاتب: "**إنّ الأمم الضعيفة قد لدغت من جحر واحد مرتين فاحذروا الثالثة**"[2] ليستحضر عن طريق الامتصاص والتحويل للنص الحديثي المنقول عن أبي هريرة، عن النبي صل الله عليه وسلم أنّه قال: {{**لا يلدغ المؤمن، من جحر مرتين.**}}[3] فطبيعة العلاقة التي يُقيمها النص الحاضر هنا مع النص الغائب هي علاقة توليد لدلالات جديدة من رحم التفاعل النصي القائم. إنهّا عملية لا تكرس التكرار أو السرقة، إنّما هي قراءة ثانية تجعل التناص" **صورة تضمن للنَّص وضعا ليس الاستنتاج وإنّما الإنتاجية**"[4] ولكون الكاتب من خلال هذا التناص قد استطاع أن يُثري مضمون نصه وبين حالة الأمم الضعيفة التي لا تحذر مكر أعدائها ولا تحتاط لمكائدهم فيما لهما من الشّر والخراب والدمار ما يعجَّل بفنائها وزوالها.

كما يستحضر الكاتب نصا حديثا ويتقاطع مع عن طريق الامتصاص والتحوير فيقول: "**أما القانون الدولي فهو في هذا الباب، شاهد زور لا تقبل شهادته لأنه دائما يشهد للقوة على الضعف، وللباطل على الحق**"[5].

فهو يستحضر دوال النص الحديثي الذي يقول فيه الرسول صل الله عليه وسلم: {{ **ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور، (أو قال شهادة الزور)** ويُدمجها في نصه الحاضر ويحولها فتظهر على شكل كتابة ثانية ليس لها نفس المعنى الأول.

---

[1] صحيح مسلم، من، ج8، ص379.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص373.

[3] المرجع السابق، ص373.

[4] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص98.

[5] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص119.

ولعل أن يكون سبب استحضار الكاتب للنّص الحديثي وتعلقه به هو مدى إسهام هذا النص الغائب في تشكيل هوية النص المقالي وصياغة دلالاته، وإبراز جماليته. كما أنّ الاستحضار لا يُلغي القيمة الخاصة الجديدة للمؤلف الدلالي للنّص وتوسيعه بطرق مختلفة ومستويات متفاوتة تتقاطع في مجملها مع مستويات التناص القرآني.

ثالثا: التناص مع مصطلحات علم اللغة والفقه

سنبرز في هذا الجدول أهم تناصات الإبراهيمي في نصوصه مع مصطلحات البلاغة والنحو والعروض وكثير من العلوم:

النّص	عنوان المقالة ورقم الصفحة	المصطلحات التّي تناص منها
ولأن يسكت العاقل مختارًا، في وقت يحسن السكوت فيه	استهلال ص 17	تعريف الجملة: علم النّحو يعرفها المبرد(285هـ) في معرض تفريقه بين الكلام والجملة: وأنما كان الفاعل رفعا لا،هـ هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت.
أمّا الحكومة الجزائرية فإنها تحلف برأس كل عزيز عليها أنها قادرة على الجمع بين الفصل والوصل في آن واحد.	فصل الدّين عن الحكومة طلائع ومقدمات ص 70	يعتبر الفصل والوصل من مصطلحات علم البلاغة
وإن كانت تعد ميراثا، فقد أفهمناها أنّ الدين لا يرثه الأجنبي عنه مع وجود الوارث الأصلي، وإن كانت	خصمان.... فمن الحكم؟ص180	المواريث، علم الشريعة

تعده مال اليتيم فقد كبر التيامي ورشو		
في العربية تركيب الإسناد، والإسلام لا يرضى أن يسند إلى فرنسا الاستعمارية، ولا تسند هي إليه، وفي العربية التركيب الإضافي، والإسلام لا يسمح أن يضاف إلى فرنسا ولا أن تضاف هي إليه..... التركيب المزج...	لجنة فراس إسلام ص390	التركيب، الإسناد، التركيب الإضافي، المضاف والمضاف إليه، التركيب المزجي. مصطلحات علم النحو
هذا الإسلام المركب لا يلتقي مع الكثير منها في إشفاق ولا دلالة وضعية قبح الله الاشتراك اللفظي.	عبد الحي الكتاني ما هو؟ وما شأنه؟ ص 615، 617	الاسم المركب، الاشتقاق، الدلالة الوضعية، علم الدلالة، علم النحو، المشترك اللّفظي.

رابعا: التناص الأدبي:

هو عبارة عن تمازج نصوص أدبية قديمة وحديثة مع نصوص أدبية حديثة ومعاصرة، سواء أكانت هذه النصوص لكاتب واحد أو مجموعة من الكتاب الآخرين، حيث يكمن هذا الاستحضار في التمازج بين القديم والجديد، ومنه يتكون النص الشعري الجديد بلمسة فنية وجمالية جديدة تجمع بين القديم والجديد.[1]

[1] عبد الله حمادي: ديوان أنطق عن الهوى. ص56

يأتي التناص مع التراث الأدبي والمتمثل في الشعر والأمثال والحكم العربية القديمة معززا ومكثفا لدلالات الكلمات والمعاني التي يطرحها الشعراء من خلال قصائدهم، فالاستعانة ببيت شعر قديم أو حكمة أو مثل عربي يجعل العبارات ذات معان فياضة تزخر بالدلالات وتفتح أكثر من طريق للتأويل والتحليل.

فالأدب هو خلاصة التجربة الشعورية والفكرية والحياتية لأي أمة، تتناقله الأجيال جيل بعد جيل، مستفيد من مضامينه، ومستلهمة شكله من أجل مواصلة الإنتاج على غراره وتطويره . فالموروث الأدبي على اختلاف مستوياته له حضوره الفعال في القصيدة المعاصرة لقرينة من الذات المبدعة، والتصاقه بوجدانها، ومعايشته لظروفها، لقد وجد الشاعر المعاصر كثير من ملامح تجاربه في التراث الأدبي فاستغل ذلك في التعبير عنها بصورة فنية من خلال تسليط الأضواء على الجوانب التراثية التي تخدم الفكرة أو القضية التي يُريد التعبير عنها وتحويرها بما ينسجم مع مواقفه المعاصرة، وهنا تكمن براعة المبدع وقوته في التقاط الموقف الخاص الذي تعترض له الشخصية القرآنية في إكسابه طابعا دراميا معبرا عن موقف جديد.[1]

1. التناص مع التراث:

المقطع السردي التالي: والذي وردت في مقالة عنونت بـ" عادت لعترها لميس" ولميس هذه في مورد المثل هي امرأة كانت لها عوائد شر تعتادها، وأخلاق سوء تفارقها، ثم تقارفها لغلبة الفساد فيها وصيرورته أصلا في طباعها، والعتر هو الأصل فسيرت العرب فيها هذا المثل، أما في مضرب المثل فهي الإدارة الجزائرية، وعترتها هو الاستعمار البغيض إلى كل نفس، وما يقتضيه من ظلم وعنت للمستضعفين، وما يبنى عليه من انتهاك لحرماتهم، وما ينتهي إليه من وحشية في معاملتهم، وقتل لمعنوياتهم، ومسخ لأخلاقهم[2] استدعى البشير الإبراهيمي هذا المثل العربي المشهور، إذ تقول العرب "عادت لعترها لميس"

[1] رجاء عيد: لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف الإسكندرية، 1998،ط1، المجلد1ص238.
[2] عيون البصائر، ص337.

وهي مضرب الوصف في من يرجع إلى عادة سوء تركها، فالعتر: الأصل، ولميس اسم امرأة، فتقول العرب عادت لميس إلى عادتها السيئة التي كانت عليها والتي تركتها من قبل.[1] فقد استطاع الإبراهيمي بأسلوبه الساخر التهكمي، استحضار التراث العربي من خلال هدا المثل: (عادت لعترها لميس) وهي مورد الشر مثلها الإدارة الجزائرية، وعترها الاستعمار وسياسته التعسفية.

مازالت الأمثال العربية مصدرا يستمد منه الكاتب أدواته الفنية والإجرائية، لما له من أثر بليغ بين الكاتب والمتلقي سواء أكان مستمعا أم قارئا لهذا النص الإبداعي المعاصر لأنه يعبر عن واقع الشعب وما عايشه من ويلات الاستعمار الفرنسي.

هذه المواقف المعبرة من خلال تجربة الشاعر وإحيائه الماضي مسقطا عليه انفعالاته بكل أبعاد الواقع والوجدان جعلت من " **الموروث الأدبي أداة معرفية طيعة في يد الشاعر المعاصر، يتسرب بجذوره الدلالية في أعماق تجاربه، ويشكل عنوانا لأفكاره وتصوراته انفعالاته**[2].

وهذه النصوص تكون واضحة في بنية النص الجديد، متعالقة معه، وقد" **يُعيد الشاعر إنتاجها دونما جهد شعري ليذيبها داخل نصوصه ويضفي عليها شكلا آخر يزيدها حسية وبهاء**"[3]

وقد جاء استخدام معنى المثل العربي القديم" جزاء سنمّار" في إحدى قصائد الشاعر عبد الرحمان بارود فياض بالدلالات وناهيا الناس لأن يكونوا مثل هذا الرجل الذي بني قصرا فريدًا من نوعه لأحد الملوك فكان جزاءه القتل فيقول:

---

[1] محمود إسماعيل جيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان،ط1 1992، ص 92.

[2] حسن البنداري وآخرون: التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص271.

[3] علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية،ط1، عمان، دار الشروق، 1997، ص131.

(لا تقرب الناس) بها جلجلت روح (سنهار) التي أزهقوا[1]

ونراه يضمن معنى لبيت شعري ينسب إلى أميرة الشعراء أحمد شوقي وهو في قريته التي تشبه قرية الشاعر بارود وبعده عن وطنه فيقول بارود:

أَحَلالُ لغيرنا ما تمنى وعلينا العمى والاسترقاق؟[2]

فقد ضمن الشاعر بارود معنى أبيات الشاعر أحمد شوقي التي يقول فيها.

أحـرامٌ علـى بــلابله الدو حُ، حلال للطير من كل جنس

كلُ دار أحق بالأهل، إلا في خبيث من المذاهب رجس[3]

التناص مع الأمثال والحكم:

لم يقصر الكاتب تفاعله مع النصوص المقدسة والشعر العربي فحسب، بل امتد الى الفنون النثرية الأخرى فتفاعل مع الأمثال لما تنطوي عليه من دلالة ورمز يتخذ سبيلا لوصول فكرته للمتلقي، والتي شكلت في كتابه محورا من المحاور التي تظهر حسن تعامله مع التراث الأدبي، فلم يكن تناصه معها تناصا حرفيا، بل عمد الى تحريرها وامتصاصها لما ينسجم مع الفكرة المراد طرحها. فثقافة الابراهيمي الواسعة الضاربة في عمق الأصالة العربية، وإلمامه الشامل بأمثال العرب وحكمها التي تعتبر ضربا من ضروب جوامع الكلم، ولا يستطيع الأديب المبدع الاستغناء عن حضورها في كتاباته، لأنها تمثل قيمة فنية وتراثية راسخة.

[1] عبد الرحمان بارود: الأعمال الشعرية الكاملة، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق ط1، 2010، ص309.

[2] المرجع نفسه: عبد الرحمان بارود، ص173.

[3] أحمد شوقي: الشوقيات، بدون ط، دار الكتب العلمية، بيروت،م1،ج2، ص45.

لونت الأمثال العربية مقالات "**عيون البصائر**"، اذ نراه يكثر منها في خطاباته مقتفيا آثار العرب، حيث ارتأى توظيف هذا الموروث في نصوصه الحاضرة، جاعلا منها زينة القول وفحوى الكلام، معتمدا على قوته التصويرية، وبلاغته التعبيرية.

ومن الأمثال المتناصة في مقالات "**عيون البصائر**" نذكر

1-إن البلاء موكل بالمنطق:

وجه هذا المثل بشكل مباشر الى أحد المناهضين لجمعية العلماء المسلمين ألا وهو الشيخ (الزاهري)، حيث أعاد الابراهيمي كتابته بصورة تلقائية وعفوية تخدم سياق النص اللاحق، الذي استهله بأسلوب النداء، ممهدا لاستدعاء النص السابق، في قوله: " **أيها الشيخ إن البلاء موكل بالمنطق، وان من قال كل ما يجب سمع بعض ما يكره، وان من اشتغل بالناس، يوشك أن يشغله الناس عن نفسه، وانك ستتجنى وتتهم، وتتعنت وتذهب في التأويل كل مذهب، ولكنك لا تأتي بشيء جديد**"[1].

يضرب هذا المثل في النهي عن الاكثار من الكلام[2]، حيث قام الكاتب باستنساخ المثل القائل: إن البلاء موكل بالمنطق مؤكدا على ضرورة حضوره من خلال التأكيد أن التي تكرر ذكرها مباشرة بعد ذلك المثل، وكانت في كل مرة معطوفة عليه، وهذا ما جعل النص المتناص ليس استحضارا له، وانما جعله نصا منتجا تتفاعل من خلاله الدلالات النصية لتكمل بعضها البعض، فقد أثرى ذلك النص السابق نتاج النص اللاحق.

رمتني بداءها وانسلت:

لقد قام الابراهيمي بإدراج أحد أشهر الأمثال العربية، ضمن نصه بشكل ارادي وبصورة واعية من خلال الاحالة مباشرة، يتجلى ذلك في قوله:" **وهلم بنا الى أمثال العرب**

[1] الابراهيمي، المرجع السابق، ص563.

[2] يعقوب يوسف، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق: عبد الرزاق حسن دار النفائس-الأردن، ط1، 2000 ، ص23.

وقع منها على قولهم: (رمتني بداءها وانسلت)، أرئيتك هذا الاستعمار الذي نمارس منه الشقاء ونتجرع بسببه العلقم، إنه يجهد نفسه في عيب الشيوعية ويقيم من نفسه عدوا له، ومن أعماله حربا عليها وما هو في الواقع الا داع لها بتلك الاعمال التي هي أبلغ من الاقوال"[1]

يتقاطع هذا النص مباشرة مع المثل المستلم من البيئة العربية وهو قولهم: "**رمتني بدائها وانسلت**"، فقد ورد عن الحسن اليوسبي: كان سعد بن زيد مناة بن تميم تزوج (رُهم) بنت الخزرج بن تيم الله بن رفيدة بن كلب بن وبرة وكانت من أجمل النساء فولدت له (مالك بن سعد)، وكان ضرائرها اذا سابينها يقلن لها يا عفلاء*، فشكت ذلك الى أمها، فقالت: ابدئهن بعقلك اذا سببت، فأرسلتها مثلا لم انها سابتها واحدة من ضرائرها يوما بعد ذلك فقالت لهم (رُهم): ياعفلاء كما وصتها أمها، فقالت الضرة حينئذ: "**رمتني بدائها** وانسلت "فذهب مثلا يضرب في تعييرك صاحبك بعيب هو فيك"[2].

يستلهم الكاتب هذا النص بشكل سريع ليحدث دلالة تتوافق معه وفق سياق النص الحاضر ويتمثل ذلك في محاربة الاستعمار الفرنسي للشيوعية وهو من دعاتها، فالاستعمار يرمي بداء الشيوعية ويعلق صفاته على مستعمريه، وهو داء موجود أصلا فيه ومن هنا فهو يعير غيره بما هو فيه، لذلك فقد كان المثل المقتبس صورة تمثلية مجسدة لأفعال الاستعمار الفرنسي المتناقضة، وتمثيل لها فهو يزرع الشيوعية من حيث يريد اقتلاعها، ويثبتها من حيث يريد زعزعتها على حد تعبير الشيخ (البشير الابراهيمي).

[1] الابراهيمي، عيون البصائر، فصل الدين عن الحكومة...خصمان فمن الحكم، ص75.

* عفلاء: من العقل وهو الموضع الذي يحبس من الكبش اذا أرادوا أن يعرفوا سمنة من غيره، والعقل نبات لحكم لا يكون في الابكار ولا يصي المرأة الا بعدما تلد (ينظر: ابن منظور لسان العرب مادة عقل).

[2] الحسن اليوسبي: زهر الأكم في الأمثال والحكم. دار الثقافة، المغرب، ط1981،1، ص60-61.

3-شر أهر ذاناب:

يستحضر الشيخ البشير الابراهيمي هذا المثل العربي بين ثنايا نصه الموجه الى بعض رجال الزوايا الذين طوقهم الاستعمار الفرنسي بأفعاله فأصبحوا خانعين له ونابعين لنزواته، حيث عقدوا مؤتمر حول جمع الشمل وتهديد العهد وخدمة العلم بالتعليم في ظاهر الأمر، وكان من بين الخطباء الغريم اللذوذ لشيخ جمعية العلماء المسلمين (الزاهري) فكان منه أن بالغ في اخفاء الغاية الحقيقية من هذا المؤتمر وهي مهاجمة جمعية العلماء المسلمين، غير أن طالبا مأجورا يعدونه من أتباعهم لم يستطع اخفاء الأمر حيث قام بذكرها مستصغرا لشأنها ومحقرا لأهدافها، فكان من الابراهيمي أن رد عليه من خلال استنساخ ذلك المثل بعد عملية امتصاص واعية.

تتجلى في قوله:" **وبهذه الكلمات كشف ذلك الطالب (غير المسؤول) عن بعض الحقيقة وتعجل البوح بما ضاق عنه صدره لأنه امام، والعرب تقول " شر أهر ذاناب"، ونحن لا يهمنا ذلك كله كما لا يهمنا ما نشرته الجرائد الفرنسية من مقاصد وغايات، لأننا نعلم الحقيقة علم اليقين**"[1].

فالشر معروف وهو نقيض الخير، وهو الكلب يهر هريرا: صوت ولم ينبح، قال (حسان): يغشون حتى مما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل غيره ويغشون حتى ترى كلتهم تهاب الهرير وينسى النباحا وذو الناب : الكلب، وأهررته أنا: حملته على الهرير.

وهذا المثل يُضرب عند ظهور امارات الشر وتبين مخائله، وأصله أن قائله سمع هرير الكلب في الليل، فأشفق من طارق يطرق بشر، فقا ذلك تعظيما للحال وتهويلا للأمر عند نفسه ومستمعه، أي: ما أهر ذاناب الا شر عظيم. ولأجلل هذا الوصف المنوي، حسن

[1] الابراهيمي، المرجع سابق، ص394.

الابتداء بلفظة (شر) حتى حصل من ذلك الحصر[1]، فالنثر الذي جعل ذلك الطالب يذكر جمعية العلماء المسلمين بالسوء نابع من حقده عليها وكرهها، وقد قيل ذلك لأنه يهر في وجه من يسقيه[2].

فالنص المتناص أدى الى خلق دلالة جديدة تتفق مع السياق الجديد، يظهر من خلالها تشرب الكاتب لذلك النص الغائب الذي أعاد بعثه ضمن موقف آخر يشبه نوعا ما موقف النص السابق، ووجه الشبه بينهما خروج الصوت بفعل الشد غير أن الشد في النص الحاضر نابع من قلب ذلك الطالب فهو مصدر الشر، بينما الشر الذي يجعل الكلب يهر نابع من احساسه بالخطر في المحيط الذي هو فيه.

4-وعد الحر دين عليه:

يستحضر الشيخ الابراهيمي المثل العربي الشهير في الوفاء وهو قولهم "وعد الحر دين عليه" الذي يعيد نسخه بأسلوبه الخاص وفق ما يتلاءم مع سياق النص دون أن ينفي صورته بشكل تام، يتجلى ذلك في هذا النص الذي خاطب فيه طلبة العلم المهاجرين الى المشرق العربي، حيث يقول: "**وانكم يا أبناءنا فارقتم الأهل، وفيهم الآباء والأمهات، وفارقتم الديار التي خلعتم فيها التمائم، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين، وفاؤه الحب، وكفاؤه النفع والجميل، وما هون فراقكم على آبائكم وهون فراقهم عليكم الا الآمال اللائحة لكم ولهم في مستقبلكم، ولما تعودون به من علم يصحبه فخر، وحسن ذكر وطيب أحدوثة**"[3]. حيث يجعلنا الكاتب نستحضر بصورة تلقائية المثل: وعد الحر دين عليه أو أنجز

[1] اليوسي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي. محمد الأخضر دار الثقافة، المغرب، ج3، ط1 1981،ص229.

[2] ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج6، ص8.

[3] الابراهيمي، عيون البصائر، الى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، ص201.

حرما وعد الذي يضرب في حض الكريم على الوفاء بوعده، فقد جاء المثل بصيغة الأمر أي لينجز حرما وعد[1].

فتوظيف هذا المثل أعطى للنص طاقة تأثيرية، وحضورا فاعلا عبر من خلاله الكاتب عن طموحه الى صنع مستقبل انساني أفضل، فالوعد الذي يتحدث عنه الابراهيمي يتمثل في حب الوطن ووجوب الاخلاص له. وكذا العودة بالفائدة عليه التي تتجسد من خلال العلم النافع الذي ينفع صاحبه، وينفع أمته، وقد جاءت لفظة "الحر" بصيغة المفرد لتخص كل فرد وكل طالب من أولئك الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، وكل فرد جزائري كريم النفس يتعرف بقيمة العلم في بناء صرح الأمة ورفع رايتها، ويضحي بالنفس والنفيس في سبيل وطنه.

2. التناص الشعري:

يتسم الخطاب المقالي عند الإبراهيمي بانفتاحه على الموروث الشعري العربي قديمة وحديثة، ذلك أن الشعر يمثل جزءا مهما من ثقافة الكاتب الأدبية، فقد اشتهر بمحافظة قوية ساعدته على استحضار النصوص الغائية داخل النص بغرض تعميق إيحاءاته، وإعطائه أبعاد جديدة عن طريق الاجترار والامتصاص والحوار بحيث تندمج هذه النصوص مع نص جديد حافل بالدلالات والمعاني.

إن السعي إلى دراسة كل النماذج التناصية الشعرية التي يتوفر عليها المقال الإبراهيمي والإلمام بها، مهمة شاقة نظرا لغزارة مادتها. لذلك فإنه يكون من الأحسن الاقتصار على ذكر بعض منها بغية استنطاق النص الغائب والوقوف على أدبية التشابك الحاصل بينه وبين النص الحاضر. ومن ذلك قول الكاتب: "**بعد أن نام الاستعمار ملئ**

[1] كمال خلايلي، معجم الأمثال والحكم العربية (النثرية والشعرية)، مكتبة لبنان ناشرون1998،1، ص21.

جفنيه، اطمئنانا إلى أن القضية (فصل الدين عن الحكومة) تمت كما يريد ويتمنى"[1] ويبدو أن النّص هنا يتعلق مع قول المتنبي.

أنام ملء جفوني عن شواردها ..... ويسهر الخلق جرّاها ويختصم[2]

فأبو الطيب لم يكن يكترث كثيرا لما كان يقول، بينما كان المعجبون به من القراء ينعتون أنفسهم ابتغاء فهم قصدية كلامه في أبيات معينة، فكان" يعوج عليهم وهو مختلفون من حول شعره فيبتسم مزهوا [...] ولعل ذلك هو الذي حمله على أن يقول بيته الشهير"[3] ويتجلى التناص في اجتزاء لبعض دوال النص الغائب واستحضارها بطريقة الحوار لتوظيفها في سياق آخر يكون فيه التداخل قائما على أساس الامتصاص اللغوي والمحاورة الدلالية فقد لجأ الكاتب إلى استمداد الدلالات الشكلية من النص السابق وعمد إلى تحويرها والنأي بها عن سياقها الأصلي للتعبير عن سعادة فرنسا بعد استفائها لمشروعها الدنيء المتعلق بفصل الدين عن الحكومة، ومن ثم استطاع أن ينقل النص الغائب من ضيق حيزه الدلالي إلى سعة النص الحاضر المفعم بروح النضال والتحدي واليقظة المستمرة لإحباط كل محاولات المحتل ومخططاته الهادفة إلى تفويض الدين الإسلامي في الجزائر.

ويواصل الكاتب الإغتراف من معنى المتنبي الذي لطالما تأثر به وأعجب بشخصيته وعبقريته، فيقول: "**ويحكم أحيوا العدل وانشروه، وأميتوا الاستعمار وأقبروه... فإن لم تفعلوا فأيقنوا أن كل ما تنفقونه من جهد ووقت ومال في تمكين الاستعمار الضائع، ولا الحمد مكسوبا، ولا المال باقيا**"[4]"، ونجده هنا يستحضر قول المتنبي:

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى ..... فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مس، ص145.

[2] المتنبي: ديوانه، مس، ج4، ص84.

[3] عبد المالك مرتاض، نظريته القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية– دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003 ص196.

[4] محمد البشير الإبراهيم، عيون البصائر، مس، ص373.

حيث أعاد كتابة عجز البيت الشعري ونثره مع إحداث تغيير في دواله، وتوظيفها في سياق مماثل يعبر من خلاله عن القيمة الحقيقية للمال والجاه في كنف العدل والحرية.

وإذا توجه خطاب الإبراهيمي إلى العلماء– وهم ورثة الأنبياء_ في هداية الناس إلى الحق والعدل، فإنه يستعمل لهجة قوية وعنيفة تتم عن تذمره وسخطه على الذين هانوا و ضعفوا أمام المحتل، فسخروا دينهم في خيانة الدين والوطن فيقول" **وأهان العلماء أنفسهم، فسهل الهوان عليهم فأصبحوا أذل من وتد بقاع، وصاروا عبيد وخولا لهؤلاء المبتدعة الضلال**"[1] والنص الغائب المشتغل عليه هو بيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه:

"من يهن يسهل الهوان عليه ..... ما لجرح بميت إيلامُ[2]

ويتضح أن التفاعل النصي الحاصل تجلى في شكل اجتراري حيث تم تحويل النص السابق ومحاكاته على مستوى البنية الشكلية والمضمونية مع إبراز بعض الدلالات الجديدة التي أملاها السياق. كما يستحضر الكاتب دوال شعر زهير بن أبى سلمى ويوظفها في نصه الحاضر للتعبير عن رفضه لسياسة الاندماج والذوبان في الآخر، يقول الإبراهيمي: " **أما أن لعشاق سلمى أن يقولوا**" **صحا اللقب عن سلمى؟ أما أن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام؟**"[3] يقول زهير في النص الغائب:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .... وعرّي أفراس الصبا و ورواحله[4]

ويؤكد الكاتب تواصل نصه المقالي مع نصوص التراث الشعري ودلالاتها التي تقوم على علاقة اندماجية في خطابه المعبر عن مواقفه الثابتة إزاء قضية وطنه وشعبه، حيث

[1] محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر، مس، ص310.

[2] المتنبي، ديوانه، من، ص217.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، ص28.

[4] زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرح وتقديم علي فاعو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003، ط1، ص88.

يشير في قوله" **أما الطبيب الاستعماري بالنسبة إلى المسلمين فكأنما جاء ليداوي علة بعلل** " مما جعل الجزائر – إذ استثنينا الخوض– بستان المشمش في نظر ابن الرومي.

وقد وظفه الإبراهيمي في عيونه لتحقيق غايات لعل أبرزها:

- **تعرية مواقف وإيديولوجيات الحكومة الفرنسية وكشف سياستها.**
- **كشف حقائق بعض الشخصيات الجزائرية التي تعمل في الخفاء لصالح فرنسا.**

كما نجد أن كتابات الإبراهيمي لها اتصال وثيق بالتاريخ، ومن بين النماذج الدالة على ذلك قوله في مقال عنونه بـــ: " **التقرير الحكومي العاصمي**" وفي هذا المعمل جهز كيموي من خصائصه إحالة الأعيان إلى معاني، والمعاني أعيانا فيحيل الرجال مكائد رجالا. وفي هذا المعمل صنع العاصمي وامتحن، فكشف الامتحان عن استيفاء الخصائص والصلاحية للاستعمال وأصبح – بعد استكمال التجربة والاختبار– موظفا في إحدى هذه الوظائف **(المدخرة لوقت الحاجة ولمن تدعوا إليهم الحاجة)** وهي الإفتاء الحنفي بالجزائر أي مفتى الجامع الحنفي بالجزائر إذ لم يبقى من الحنفية بالجزائر إلا جامع يحمل هذه النسبة."[1]

إذ ذكر المؤلف لمحمد العاصمي وهو من منفذي السياسة الفرنسية في الميدان الديني المنحرفون، ورجال الدين الرسميون، وقد أنعمت عليه بمنصب مفتي الحنفية في الجزاء، رغم أن المذهب الحنفي لم يبقى أثره في الجزائر، وقد ذهب الإبراهيمي إلى أن هذه النسبة– مفتي الحنفية– ليست لأبي حنيفة، وإنما لبني حنفية قوم مسيلمة الكذاب.

وفي هذا المقطع نجد الإبراهيمي قد أضفى مسحة تراجيدية، كشفت عن حقيقة الأساليب السياسية التي مارستها فرنسا ضد الشعب الجزائري. وغرضه كشف الحقائق وتوظيفها للمتلقي.

[1] البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص73.

وفي مقالته الموسومة بالدين المظلوم[1]: وظلم القربى أشد مضاضة، وأشد غضاضة فقد تناص مع قول الشاعر طرفة بن العبد [2](الطويل):

وظلم ذي القربى أشد مضاضة ..... على المرء من وقع الحسام المهند.

فالمظلوم هو دين الإسلام من ذويه (الحكومة الجزائرية)، ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة، ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عنه. فقد وظف الابراهيمي صدر هذا البيت في نصه، لان النفوس بطبيعتها تكره الظلم، وما بالك إذا كان الظلم من أقرب الناس، فهو في وقعه على النفس أشد من وقع السيف الصقيل على الجسم.

_ يقول الابراهيمي في هذا البيت: "إنما هي إقبال وإدبار"[3]، تناص مع قول الشاعرة الخنساء[4]: (البسيط)

ترتع ما ارتعت، حتى إذا اذكرت فإنما هي اقبال وادبار

فقد وجد الابراهيمي في هذا البيت، الوصف الذي يليق بشخصية عبد الحي الكتاني.

ويقول الشيخ الابراهيمي:" يوم كان فيهم مرة وحنظلة "

يتناص هذا القول ما جاء به الأخطل (الطويل)[5]:

وترقدهم أبناء حنظلة الذُرى حصى يتحدى قيصه كل فاتك

[1] الابراهيمي، عيون البصائر، ص137.

[2] طرفة بن العبد، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية،ط3، بيروت/ لبنان، 1423هـ_2002هـ ص19.

[3] عيون البصائر، ص615.

[4] الخنساء، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت/ لبنان، 1425م_2004م، ص45.

[5] الاخطل، الديوان، شرحه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت/ لبنان، 1427هـ _1994م، ص290.

لقد وظف الابراهيمي قبيلة حنظلة لعلمه بالقبائل العربية، حيث يقيس في ذلك قيمة "عبد الحي " ونسبه بنسب هذه القبائل[1].

ويقول في موضع آخر: "وما يعجزه الاضطلاع بعبء. أو الاطلاع على خبأ"[2]، تناص مع قول الشاعر ابن حمديس[3] (الطويل)

له نصر مستخرج خبئ ليلة إذا الحس أهداه الى قلبه السمع

_ كما تناص عنوان المقال " ثناء كعرف طيب " مع قول ابن سيدة[4]: (الطويل)

ثناء كعرف الطيب يهدي لأهله وليس له إلا بني خالد أهل

_ كما تناص أيضا في قوله: " وليت شعري، حين عمرت الثكنات بجنودها المقاتلين[5]" مع قول زهير بن أبي سلمى[6](الطويل)

ألا ليت شعري: هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا؟

_ وتناص مرة أخرى في قوله: انما تدفعا لغايات ومقاصد يجمعها قوله "القيد والصيد[7]" مع قول الشافعي[8] (الكامل)

العلم صيد والكتابة قيد قيد صيودك بالحبال الواثقة

[1] ينظر: رفيقة سماحي، التناص في كتابات البشير الابراهيمي، أصوات الشمال، 16/04/2014، على الساعة: 14:53.

[2] عيون البصائر، ص618.

[3] ابن حمديس، الديوان، وقف على طبعه وتصحيحه، جلستينو سكيباريللي، رومية الكبرى، 1897، ص324.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة عين.ج10، ص 6013.

[5] عيون البصائر، ص185.

[6] زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت/ لبنان، 1426هـ _2005 ص139.

[7] عيون البصائر، ص75.

[8] الشافعي، الديوان، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط3، القاهرة، 1405هـ_1985م ص122.

يزخر كتاب عيون البصائر بالتناص الشعري، والمقام لا يكفي لإيرادها جميعا، اذ تحتاج لدراسة مستقلة.

خامسا: التناص الأسطوري

إن الذاكرة الأسطورية حاضرة في كل أمة، منذ القديم و الأسطورة تحتل مرتبة في فكر الانسان، "**فقد حاول الانسان من خلالها تفسير نشأة الكون وكيفية ظهور عناصره الى الوجود، ووعي الظواهر الطبيعية المحيطة من جهة، ثم ابتكار الطقوس اللازمة لاسترضاء القوى المحركة لتلك الظواهر من جهة ثانية.**"[1]

ولا تزال الأسطورة تعيش في العقل الجمعي بحكم المكانة النفسية التي تحتلها فهي" **ما تزال تعيش في ضمائر الناس على نحو آخر بل ربما فامت بدور كبير في توجيه حياة الفرد والجماعة لا يقل في أثره عن الدور الذي كانت تؤديه في عصر الأسطورة نفسها.**"[2]

ومنه نعني بالتناص الأسطوري استحضار بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياق لتعميق رؤية معاصرة يراها المبدع في القضية التي يطرحها، ومن ثمة فان "**احدى وظائف التناص هي نقل حركة استمرار الأسطورة في الذاكرة البشرية الى مكان أبعد من تحديد مرجعتيها**"[3]. ومنه يمكن القول بأن الأسطورة قد سجلت حضورها في كتابات البشير الابراهيمي (عيون البصائر) نذكر منها:

1. أسطورة كواكب النحس:

جسد البشير الابراهيمي معاناة الأمة التي تحكمها حكومة تدين بالهوى ولا تدين بالعقل من خلال استحضار أسطورة كواكب النحس، حيث صور تلك الحكومة في صورة كواكب

[1] نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة إصدارات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص115.

[2] عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب دار العودة بيروت، 1990، ص190.

[3] نيفين ساميول، التناص ذاكرة الأدب ترجمة نجيب عزاوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007، ص80.

النحس[1]، وذلك في قوله:" **ولعمري [...] ان هذه الحالة هي شر ما تساس به الأمم وتداربه الحكومات، ويصاب به الحاكمون حين يصابون بالأزمات النفسية والقلاقل الفكرية والزعازع الحربية، والأمراض العنصرية وهو أسوء ما تبتلى به الشعوب التي تدور عليها كواكب النحس، فتوزن بموازين النحس**".

فالعرب قديما كانوا يتشاءمون من بعض الكواكب، ويطلقون عليها رسم كواكب النحس ويقال أن بعض العرب كانوا يتشاءمون من كوكب زحل. وكواكب النحس التي يتحدث عنها الكاتب هي تجسيد لتواطؤ أطراف الحكومة مع بعضهم البعض لتأجيل قضية فصل الدين عن الحكومة. فهذه الأخيرة أصبحت في نظر الكاتب تدور حول قطب مركزه المكاتب المتعاكسة، وأعضاؤه رؤساء المكاتب المتشاكسون، وكل واحد منهم يشكل كوكبا نحسا يدور حول الشعب لينثر نحسه، المتمثل في القرارات الزائفة، والأمراض العنصرية وأوهام التسلط على المستضعفين ونشر الفساد، وكل هذا في حقيقة الأمر هو فعل الاستعمار الفرنسي الذي سلط كوكب النحس على مستعمريه فقلدوه، واستسلموا لنحسه[2].

2. أسطورة التشاؤم من الكواكب ذوات الأذناب الطويلة

أظهر الابراهيمي تأثره بالموروث الأسطوري والخرافي القديم من خلال تعامله مع بعض العادات والخرافات القديمة، حيث أطلق على قضية فصل الدين عن الحكومة اسم "**القضية ذات الذنب الطويل**"، هذا الاسم الذي يجعلها تدخل عالم الأسطورة الواسع الذي يحيلنا الى استدعاء بعض الخرافات القديمة التي توحي بالتشاؤم من الكواكب ذوات الأذناب الطويلة، وهي في الواقع عبارة عن " **نجوم كونية لها رأس لامع في وسطه نواة أكثر توهجا ولمعانا ولها ذنب طويل يزداد اتساعا كلما ابتعد عن النواة، وتكون هذه المذنبات من غازات متوهجة كالهيدروجين، ومن أجسام صغيرة صلبة كالغبار والتراب الكوني**"[3].

---

[1] الابراهيمي، عيون البصائر، فصل الدين عن الحكومة، ص100.

[2] الابراهيمي، مرجع سابق، ص100.

[3] ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى (آيات العلوم الكونية)، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص306.

وذلك في قوله: "**يعود الناس اطلاق الوصف على الكواكب السماوية ذوات الأذناب لأنهم تعودوا رؤيتها بالعين في بعض الأطوار الفلكية، وسماع أخبارها والمزاعم التي تعقد حول** أسبابها وآثارها وأجمعوا قبل معرفة أسبابها الطبيعية على التشاؤم منها واعتقاد أنها ستلف هذا الكوكب الأرضي بذنبها في يوم من الأيام فتطوح به، كما يلف الفيل قطعة الخشب بخرطومه ويطوح بها، ولكنهم لم يتعودوا اطلاق هذا الوصف على القضايا الأرضية مع أن منها ما يفرع الكواكب ذوات الأذناب طولا، ويفوقها خطرا وشؤما وتفزيعا"[1].

استلهم الكاتب من تلك الخرافات التي عجز الانسان عن تفسيرها فكرة تتلاءم مع سياق نصه الجديد، فقد ربط الفكرة الأسطورية السائدة منذ القدم، حيث "شاهد الانسان ظواهر وحوادث غامضة كانت تثير في نفسه الخوف والتشاؤم تارة، وتبعث فيها الأمل والفضول حينا، شاهد الشمس والقمر والنجوم والشهب والبرق، فلم يدرك حقيقة هذه الأجرام والظواهر البعيدة، وكان لابد له وهو يكافح من أجل البقاء أن يلبس ما شاهد من مخلوقات وظواهر طبيعية، تفسيرات تتناسب مع ظروف حياته، وأن يجعل منها رموزا للخير أو الشر يستبشر بها أو يتشاءم من وجودها"[2].

ربط الابراهيمي هذه الأسطورة بقضية سياسية وحكومية في الجزائر وهي قضية فصل الدين عن الحكومة، هذه القضية التي استغرقت وقتا طويلا حتى أصبحت غريبة وعجيبة في الأذهان، فالفضاء الزمني الذي يحكم تلك القضية هو نقطة الشؤم فيها لأنها تتوسع بوسعه فكلما ازداد طولها ازداد خطرها على مصير الدين الاسلامي في الجزائر، فقد قام الكاتب باستثمار تلك الأسطورة في صياغة نصه وتحديد بنياته المعرفية، ممتصا بشكل فعال معطياتها الدلالية التي تدعم النص الحاضر وتهيؤه للظهور بشكل أسطوري يعبر عنه،

[1] الابراهيمي، مرجع سابق، ص176.

[2] الأزرق بن علو، الرحلة (أساطير، تاريخ، أدب، حكايات)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001، ص267.

فمفهوم التشاؤم ودلالة الطول في النص الغائب هو ما يعطي للنص الحاضر أبعادا دلالية أسطورية يتوافق مع النص المتناص.

3. أسطورة التنين الضخم القاتل:

يصور الشيخ الابراهيمي الاستعمار الفرنسي في صورة الحيوان الضخم من خلال الايحاء اليه في النص الغائب، الذي يمثل أسطورة من أبرز الأساطير حول موضوع الحيوانات الضخمة حيث قام باستجلابها محاورا عناصرها التكوينية في قوله: "**أما والله لو أن هذا الهيكل المسمى بالاستعمار كان حيوانا لكان من حيوانات الأساطير، بألف فم للالتهام، وألف معدة للهضم، وألف يد للخنق، وألف ظلف للدوس، وألف مخلب للفرس، وألف ناب للتمزيق، وألف لسان للكذب، وتزيين هذه الأعمال**[1]."

يتقاطع النص الحاضر مع اسطورة التنين، حيث تقول الاسطورة أن ذلك التنين" اتخذ أشكالا متطورة يمكن أن نطلق عليها كلمة الوحش بشكل عام، وإن تنوعت أشكاله بعيدا عن الحيوانات المفترسة العادية التي عرفها الانسان، والصورة التقليدية لشكل التنين هي أنه حيوان يتكون من عناصر مختلفة، وان كان يشمل بشكل عام على: جسم أفعى ومخالب أسد، ورأس تمساح كما أن جسمه مغطى بحراشف، وتتطور صورة التنين بعد ذلك ليصبح حية ملتوية، وحية ملعونة ذات رؤوس سبعة، ويصيح هائلا ومخيفا ذا شدقين يبتلع بهما الحمل والجدي[2].

يجسد لنا الكاتب من خلال استدعاءه هذه الأسطورة القديمة بشاعة الاستعمار الفرنسي وجشاعته في احتلال الأرضي الجزائرية، مصورا أفعاله الجائزة وقراراته التعسفية ضد الشعب الجزائري، الذي عانى الويلات من اضطهاده و ظلمه، فالكاتب لم ينتج فكرته من الفراغ كما يقول " **غابر**يال **غارسيا ماركيز**": " **لا ينتج الشاعر أو المبدع عموما من**

[1] الابراهيمي، المرجع السابق، ص507.

[2] كازم محمود عزيز، أساطير العالم القديم مكتبة النافذة للنشر1، 2007، ص216.

الفراغ، ولكن هناك عشرة آلاف سنة من الأدب خلف كل قصة تكتبها" [1]، فقد قام بصياغتها معتمدا على انتاج السابقين يقحمها في نصوصه اقحاما، ويدسها دسا، ويستدعيها في تراكم وتتابع، وانما يعيد بناءها وتنظيمها، وابراز بعض العناصر منها واخفاء أخرى تبعا لمقصدية المنتج المتلقي[2].

وتوظيف التناص في هذا الموضع نابع عن رؤية موافقة للنص الغائب الذي يمثل أحسن تمثيل هضم الاستعمار الفرنسي لحقوق الشعب الجزائري، والتهام ممتلكاته، وخنق النفوس وتخريب الأوطان والأديان والعقول والأفكار، وتهديم القيم والمقامات، والدوس على مقوماته الأمة الجزائرية وتمزيق قومياتها.

سادسا: التناص السياسي

لقد صور لنا الكاتب هذا الخطاب الإبداعي في تلك الفترة تصويرا فنيا، حيث كانت مقالاته الافتتاحية مشاهدة حقيقية تراجيدية للحقبة التاريخية الممتدة بين 1830 إلى غاية 1965، وبالأخص الفترة بين 1931 تاريخ تأسيس (جمعية العلماء المسلمين) إلى غاية 1965. وما مارسته فرنسا من جرائم ضد الشعب الجزائري من تنصير وتجهيل وتجويع...

فمقالات عيون البصائر قامت بتعرية الواقع الجزائري في فترة الثورة، ومن أهم التناصات الدّالة على ذلك: ماورد في المقال الموسوم بـ" هل دولة فرنسا لائكية.

[1] سامية عليوي، التناص الأسطوري في شعر سميح قاسم، مجلة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع7، ص3.

[2] ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص-المركز التقني العربي، الدار البيضاء المغرب، 1992، ص124.

جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الاستعماري لتُفسد على المسلمين دينهم، وتفتنهم به على عقائدهم، وتشككهم بتثليثية في توحيدهم، وتضار في ألسنتهم كلمة (الهادي) بكلمة (الفادي) ذلك كل بعدما أمدته بالعون وضمنت له الحرية، وكفرت هناك لتؤمن به هنا.[1]

فقد خص هذا التناص بذكر سياسة الاستعمار الفرنسي التنصيرية، التي جاءت بها لتفسد دين المسلمين، وتفتنهم عن عقائدهم، وهذا من أجل نقل صورة حقيقة عن مدى معاناته الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار.

ونجد أيضا إشارات إلى بعض المناشير والقرارات الفرنسية ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونذكر أهمها: منشور ميشال 1933 قرارات ريني 1935، قانون شوطان 1938.

كما ذكر بعض الأحزاب السياسة: لكنه في الحقيقة لم يكن يعني إلا حزبين هما:

- **حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.**
- **حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.**

[1] عيون البصائر، ص83.

الخاتمة

ليس من السهل الخروج بصياغة اختزالية لهذا البحث، لأن بحر التناص زاخرُ صعب ركوبه، فالأمر يستدعي قارئا محيطا به ركب أمواجه. ولكن يبقى أن نكتفي بالأهم مما بدا لنا واضحا من خلال التحليل التناصي:

- كانت البداية بالفصل الأول المعني بالكشف عن التناص المفهوم والتطور، حيث خلصنا إلى أنه من المفاهيم المحدّثة في الكتابات النقدية المعاصرة، وبأنه قد استوى على يد الباحثة كريستيفا.
- التناص مصطلح نقدي حديث رافد من الغرب قائم على التداخل والتعالق بين النصوص واستحضارها سواء أكانت قديمة أو حديثة، وتوظيفها لخدمة النص الحالي.
- كما وُجد عند العرب ولكن بمسميات أخرى كالتضمين والتلميح، حيث أفاض نقادنا القدامى وأسهبوا فيه ورغم القبول الذي لاقاه هذا المصطلح عند أدبائنا العرب المعاصرين إلا أنه ظهر في مجال النقد بمسميات عدة كالتعالق النصي، المتناص ...
- مصطلح التناص ظاهرة اختلف النقاد والباحثون في أصلها وجذورها بين الأصل العربي والأصل الغربي.
- إذا كان التناص في صورته النظرية هو محصلة الفكر النقدي الأوروبي والأسبقية فيه تعود للشكلانية الروسية والباحثة كريستيفا، فهذا لا ينفي وجود إرهاصات له في تراثنا العربي البلاغي والنقدي.
- التناص عند جوليا كريستيفا هو ذلك التقاطع الحاصل بين نص سابق وآخر لاحق، تتداخل هذه النصوص مع بعضها البعض للمحافظة على السياق.
- يعود الفضل لميخائيل ياختين في التنظير لمصطلح التناص من خلال فكرتي الحوارية وتعددية الأصوات اللذين استفادت منهما كريستيفا في بناءها لهذا المفهوم.
- النص عند بارت هو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة والمعاصرة، لم يهتم بمناقشة المشاكل الإجرائية التي تواجه النقاد.
- محمد البشير الإبراهيمي أديب موسوعي، ألهمة واقعه وتصوراته وإبداعاته، فجاءت كتاباته مرآة عاكسة له، وسيلته في ذاك لغته القوية، وأسلوبه الراقي.

- حاول هذا البحث الكشف عن مدى حضور النصوص الأخرى أو غيابها في كتابه، وذلك من خلال الوقوف على مستويات التناص الذاتي والداخلي والخارجي، والدور الذي يلعبه في تشكيل المعنى ومدى إفادة الكاتب منها.
- يستقي الإبراهيمي من مصادر وينابيع عديدة فمنها ما هو ديني ومنها ما هو أدبي، ومنها ما هو أسطوري بكل أبعاده.
- إنّ الكاتب يُعيد كتابة النصوص الغائبة، ويوظفها توظيفا فنيا بطرق مختلفة كالامتصاص والتحوير الدلالي، قصد الإشارة والإيحاء وإنتاج دلالة جديدة حتى لا يقع في التقليد ومعاودة الدلالة الأصلية، وهذا ما يُضفي نوعا من الجمالية في أفكاره التي يوحي بها .
- عمل الإبراهيمي على استحضار النصوص الغائبة ثم شحنها بمعان جديدة مُضيفا عليها من مخيلته ما يخلصانه من التقليد والاجترار.
- بدا الكاتب من خلال كتابه عيون البصائر معوّلا على استراتيجية تناصيّة طويلة النفس أذكاها بتناصات كثيرة لعلّ الغلبة للتناص القرآني الذي يعكس ثقافة الكاتب الإسلامية الواسعة.
- فيما يخص تجليات التناص الديني في عيون البصائر فقد وجدنا أنّ الإبراهيمي قد استلهم النصوص القرآنية والتي كان حضورها قويا تجلى في أكثر من خمسين موضع .
- القران الكريم أمد مقالات الإبراهيمي بطاقات تعبيرية ثرية تسهم في إغناء تجربته وتعزيز وجهة نظره ،وذلك لما لكتاب الله من مكانة مقدسة في القلوب ،كما استروح ظلال الهدي النبوي لأنه يأتي في المقام الثاني.
- كانت قصص الأنبياء جزءا من التجربة الدينية في عيون البصائر يعبر عن تلقيه للواقع ولتفاصيل الحياة ،أمّا الألفاظ الدينية فقد كونت جزءا من معجمه.
- أمّا الأثر النبوي فلم يشغل حيزا كبيرا في كتابه، فقد يكون السبب في ذلك الاكتفاء بحججية النص القرآني .
- إنّ القول بأن الكاتب ذو ثقافة إسلامية واسعة مكسب للقارئ ،حيث يشحذ النص الغائب للاطلاع على المتون الأصلية
- ظاهرة التناص مع التراث عند العلامة الشيخ الإبراهيمي هي ظاهرة بارزة ومهمة في كتاباته النثرية ،بحيث لا يستغني الإبراهيمي عن توظيف مخزونه التراثي الواسع في عملية إنتاج نصوصه الحاضرة، والتناص مع التراث العربي غني وشامل يحتمل ملامح الفكر الغربي الإسلامي والإنساني.

- اتضح كذلك أن خيط التراث الأدبي خيط بارز في نسيج كتابه وانه مكون أصيل من مكوناته ،فالموروث الأدبي يعد من أكثر المصادر التراثية ظلا والتصاقا .
- الإبراهيمي عندما يلجا إلى استحضار النصوص الأخرى السابقة والمتزامنة معه ،إنّما يفعل ذلك ليكشف للقارئ عن أرضية ثقافية تدعوه إلى سعة الاطلاع ،لكي يحرك نصه من حيّز الأُحادي المغلق إلى حيز المتعدد المنفتح، ومنه فالتناص عنده ليس مجرد لعبة مجانية وإنّما له جماليات عدة وتظهر عند تلاقح النصوص.
- وظف البشير الإبراهيمي التناص مباشرا وجسّده في التضمين والاقتباس، امّا غير المباشر فقد جسّده عن طريق الاشارة والتلميح.
- وُظف التناص عبر آليتي التمطيط والإيجاز ،فمن آلية التمطيط وظف الاناكرام والباركرام، أما آلية الإيجاز فقد وظف الاقتباس والتلميح والتضمين.

تلكم أهم النتائج التي استنتجناها.

- أظهر البحث أنّ التناص مثّل أداة فنية وبديلا شرعيا يسمح بالممارسة الحرة في استنطاق الذات وكسر جدران الصمت التي تُقيد المبدع، وهو في الوقت نفسه قيمة جمالية تفتح آفاقا واسعة أمام القارئ ليستمتع بلذة النص.
- لا مفرّ لأي أديب مبدع من عملية التناص على اعتبار أنّ أي نص أدبي لابد له أن يرتكز على نصوص أخرى، هذه النصوص التي ترسبت في ذاكرة المبدع ليقلد لنا نصوصا جديدة لها خصائصها وميزاتها.

ولا يدعي هذا البحث أنه وصل أو حاول أن يصل إلى درجة الكمال، لأن الكمال لله وحده ويبقى جهدا حاولنا فيه أن يكون جادا، وحسبنا أنّا حاولنا في سبيل البحث الجاد. وإن كنا قصرت فلعل عذرنا في ذلك أنّنا بذلنا غاية جهدنا. وما اعتصامنا وتوفيقنا إلاّ بالله وهذه الدراسة ما هي إلاّ محاولة متواضعة في اقتناص مواطن التناص والاجتهاد على وفق قدرتنا على الفهم والتأويل.

الملاحـــق

1-محمد البشير الإبراهيمي:

يعدُّ محمد البشّير الإبراهيمي –طيب الله ثراه– من اعظم العقول التي عرفتها الثقافة العربية ،فهو نسيج وحده، وقريع زمانه ،وغُرّة أوانه. رجل من الرّعيل الأول من المفكرين الجزائريين ،اشغلته الاهتمامات القومية ومسؤولياتها في الحركة الاصلاحية عن الانتاج المكتوب، استعاض عنه بتكوين الرجال، ونذر حياته للإصلاح الديني والاجتماعي.

1-1-اسمه ومولده ونشاته :

أ- اسمه ومولده :

هو محمد البشّير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله عمر الابراهيمي[1]. مجاهد جزائريٌّ، من كبار العلماء ،انتخب رئيسا ل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وُلد مع طلوع شمس يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام 1306 هجرية ،الموافق للثالث عشر جوان 1889 ميلادية[2]. ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة ريغة الشّهيرة بأولاد ابراهيم[3]، ذي النسّب الشريف المتواتر بالسماع الفاشي والثابت عند أئمة النسابين أمثال الإمام عبد الرحمن الصباغ البجاوي صاحب كتاب الفصول المهمة.

فنسبة إذن عربي صميم، إن لم يكن في قريش فهو في هلال بني عامر[4].

---

[1] محمد البشير الابراهيمي، في قلب المعركة، قدم له : أبو القاسم سعد الله، دار الامة، (دط)، الابيار/الجزائر، 2007، ص95.

[2] المرجع نفسه، الموضع نفسه.

[3] محمد البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مكتبة الرضوان، ط1، الجزائر، 1329هـ،_2008م، ص9.

[4] ينظر: محمد البشير الابراهيمي، في قلب المعركة، ص95.

ب- نشأته:

شبّ الابراهيمي في اشرة عُلماء وتشرّب معاني القران الكريم كتاب العربية الاكبر وموئل بلاغتها، حتى استقر في فؤاده، كما يسّرت له تلك البيئة ان يتقن النحو العربي ،ويحفظ كثيرا من اوابد التراث العربي القديم. تتلمذ على يد عمه الشيخ محمد المكي الابراهيمي، يقول الشيخ محمد البشير في هذا الشأن: "**أخذني عمي بالتربية والتعليم منذ اكملت السنة الثالثة ،وكنت ملازما له حتى في النوم، فكان لا يُخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتى لا أمل واختصصت بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة**"[1]. ولما بلغ التاسعة من عمره ،وكان ذلك سنة 1897م، أُصيب بمرض في رجله اليسرى ،أمسى عرجا، ولكنة لم يمنعه من مواصلة طلب العلم. وفي سنة 1903م أجازه شيخه قبل وفاته فكتب الله له أن يصير شيخا في صباه، وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة سنة.

1_ 2- المصادر الفكرية لمحمد البشّير الابراهيمي:

- القرآن الكريم.

- ألفية بن مالك وألفية ابن مُعطي الجزائري.

- ألفيتا الحافظ العراقي في السير والأثر.

- تلخيص المفتاح للقاضي القزويني.

- كُتُب لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) مثل:

- رحل الحلل في نظم الدول. ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب، التي هي عبارة عن مجموعة من الرسائل.

[1] المرجع السابق، ص97.

- رسائل كُتاب الاندلس مثل ابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرّف وأبي عميرة .

رسائل كُتّاب المشرق كالصابي.

- حفظ المعلقات ،والمفضليات للضبي، بالإضافة الى كثير من أشعار المتنبي والرضي وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس والفرزدق وجرير والأخطل .

كما حفظ الكثير من كتب الأدب كالكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ ،وأدب الكاتب لابن قتيبة ونفح الطيب للمقري التلمساني وغيرها.

قال الابراهيمي: وفي عنفوان هذه الفترة حفظت بإرشاد عمي كتاب كفاية المتحفظ للاجدابي الطرابلسي ،وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ،وكتاب الفصيح لثعلب ،وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت .هذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية[1]. ذلك الذي أثّر في تكوين أسلوبه الفكري والتعبيري، حيث كان له من المشارقة صفاء البيان ومن المغاربة منطقية العرض وكان من أسلوب القرآن الكريم –تنوعا وأصالة – استمداده واستلهامه[2].

1-3- رحلته الى بلاد المشرق

رحل الابراهيمي إلى المشرق رحلتين:

أ_ رحلة التكوين الذاتي: وكانت من سنة 1911م إلى غاية 1920م. وقد تأثر حينها بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشيد رضا وغيرهم.

[1] ينظر: محمد البشير الابراهيمي، في قلب المعركة، ص97. عبد الله بومنجل، النثر الفني عند البشير الابراهيمي، بيت الحكمة،ط1، الجزائر،جوان2009، ص21_22.

[2] محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ص7.

ب_ رحلة الجهاد: من سنة 1952م إلى غاية 1962م، وكانت مصر هي منطلق الرحلة ثم المملكة ثم المملكة العربية السعودية فالعراق فسوريا فالأردن، ثم الكويت وأخيرا باكستان .وهذا من أجل قضايا وطنية وقومية.

1-4- وفاته:

رحل البشير الابراهيمي ووافته المنية يوم الخميس 18 من محرم 1385هـ الموافق ل 19 من مايو 1965م وهو رهن الإقامة الجبرية ،عن ست وسبعين سنة قضاها في العلم والجهاد ،ودعوة العباد للعودة الى رب العباد .وقد شُيع جُثمانه الى مقبرة "سيدي امحمد" في جنازة مشهودة. قال البشير الابراهيمي في بيان 16 أفريل 1964م "كتب الله أن اعيش حتى استقلال الجزائر ،ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير، إذ تراءى لي أني سلمت مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام الحق، والنهوض باللغة العربية، ذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله[1]".

1-5-آثاره :

ترك لنا الشيخ محمد البشير الابراهيمي –طيب الله ثراه – عدة مؤلفات، منها:

– عيون البصائر: التي تمثل المقالات الافتتاحية لجريدة "البصائر" أحد ألسنة جمعية العلماء المسلمين.

– النقابات والنفايات في لغة العرب : وهو أثر لغوي يجمع كل ماهو على وزن فَعَالَة من مأثور الشيء ومرذوله.

– أسرار الضمائر العربية.

– التسمية بالمصدر.

[1] محمد البشير الابراهيمي، في قلب المعركة، ص263.

- الصفات التي جاءت على وزن (فُعْلٌ).

- الاطراد والشذوذ في العربية.

- رواية "كاهنة أوراس".

- حكمة مشروعية الزكاة.

- شعب الايمان في الاخلاق والفضائل الإسلامية.

- الملحمة الرجزية في التاريخ.

- فتاوى متناثرة.

- الطرق الصوفية: مقتطفات من تصدير نشرة "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

- رسالة الضّب.

- وقد طبعت أخيرا مجموعة من مؤلفات البشير في خمسة مجلدات تحت عنوان:" آثار الامام محمد البشير الابراهيمي"، أصدرته (دار الغرب الاسلامي)[1].

1-6- محمد البشير الابراهيمي في نظر بعض معاصريه:

امتلك الابراهيمي ناصية اللغة فأجادها وأحاط بأسرارها ،فكان فيها من أعاجيب الدنيا ،ومن أعلم الناس بعلوم الدين والدنيا .وسنكتفي هنا ببعض ما قاله معاصروه فيه:

- قال نجله الدكتور أحمد طالب الابراهيمي: "لقد سمعت الشيخ العربي التبسي (نائب البشير في جمعية العلماء رحمه الله) يردد كثيرا في مجالسه :ان الابراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وان العظمة أصل في طبعه "[2].

[1] المرجع السابق، ص245.

[2] ينظر:خالد النجار،محمد البشير الابراهيمي،ص25.

- وقال عبد الرحمان شيبان : الشيخ البشير الابراهيمي قبل أن يكون مفكّرا مصلحا وسياسيا محنّكا كان أديبا شاعرا ،وخطيبا مُفوّهًا، عالما فقيها في العربية ،خبيرا بأسرارها ،متضلّعا في آدابها وفنونها[1].
- وقال الشيخ محمد الغزالي: ان لكلماته دويا بعيد المدى ،وكان تمكنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رُزق بيانا ساحرا ،وتأنقا في العبارة يُذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها ومعرفتي بالشيخ البشير الابراهيمي تجعلني أتساءل عن حدود الوفاء للقيم والمبادئ التي عاش من أجلها ومات في سبيلها ...إني أتخيله حيّا، وأتصور أنه يسمع رجلا يرطن بالفرنسية ،ما أحسبه يتركه دون تقريع وتعنيف بَالِغَيْنْ، وله الحق في غضبه فإن الاستعمار العسكري ذنب والاستعمار الثقافي هو الرأس، والحية لا تموت بقطع ذنبها، بل الأمر كما قال الشاعر (البسيط):

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهما فأتبع رأسها الدنيا[2]

- يقول الدكتور عمر بن قينة :همُّ الجزائر خصوصا وهمُّ العرب عموما ،وهمّ المسلمين بشكل أعمّ كان محط اهتمام الشيخ محمد البشير الابراهيمي، وميدان قلمه الذي أبلى البلاء الحسن، فكان هذا النضال القلمي اجتماعيا ودينيا وسياسيا، صورة من صور الجهاد بالكلمة الحية القوية الصادقة، يعضدها إيمان الرجل بربّه وحبه لوطنه وثقته في أمته، فالرحمة عليه في كل ذكرى تمرّ بعد وفاته[3].
- وقال الدكتور عبد الرزاق قسوم: تلك هي مدرسة "**عيون البصائر** " وقد كحل الله بنور الحق بصيرة كاتبها، فراعت بالحكمة العقلية في معناها، وطرزت بالعبارة البلاغية في مبناها ،فجاءت معلمة معرفية جامعة مانعة .سيجد فيها فقهاء الألسنية وفلاسفة

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص28.

[2] محمد الغزالي، محمد البشير الابراهيمي، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد87، مايو، يونيو،1985.

[3] عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والادب –دراسة_، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2002 ص71.

التاريخ السياسي وعلماء الاجتماع والعارفون بالفقه وأصوله ،الحق المنشود وقد فَصَّلَتْهُ، والمنهج المقدود وقد برهنته، فيستنطقون بذلك الحوادث التاريخية التي وضعت لها مقدماتها ويستوجبون أبطال التاريخ، بالموسوعية التي حددت خصائصها ومميزاتها"[1].

[1] أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت/ لبنان، ج3،ص5.

مسرد المصطلحات الواردة في البحث:

- التناص Intertexte
- التناصية Intertextualité
- الحوارية Dialogisme
- التضمين Implication
- المتعاليات النصية Transcendances Textuelles
- الاستحضار Identiquement
- الاستشهاد Citation
- السرقة Plagiat
- المناص Para texte
- المتناص Meta texte
- الماورائية النصية Meta textualité
- الإنتاجية Productivité
- علم النص Textologie
- النص الغائب Texte Absent
- الخطاب Discoure
- إيحاء Conotation
- تأويلية Herméunetique
- تحويل Transformation
- تعالق نصي Transtextualité
- سياق Contexte
- نص سابق Hypo texte
- نص لاحق Hyper texte

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1) محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 1997.

ثانيا: المراجع:

الكتب العربية:

2) أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا مؤسسة عمان للنشر-عمان،2000.
3) أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القراني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1986م.
4) أحمد شوقي: الشوقيات، بدون ط، دار الكتب العلمية، بيروت،م1،ج2.
5) أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت/ لبنان، ج3.
6) أحمد ناصم، التناص في شعر الرواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1 2004.
7) الاخطل، الديوان، شرحه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت/ لبنان، 1427هـ _1994م.
8) الأزرق بن علو، الرحلة (أساطير، تاريخ، أدب، حكايات)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001.
9) جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، م س.
10) حاتم الصكر، تريض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، اجراءات ومنهجيات-الهيئة المصرية العامة
11) حسن البنداري وآخرون: التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر.
12) الحسن اليوسبي: زهر الأكم في الأمثال والحكم. دار الثقافة، المغرب، ط1 ،1981.

13) الخنساء، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت/ لبنان، 1425م_2004م.
14) داود سلمان الشويلي، تجليات الاسطورة(قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني)، العراق، 2005م.
15) الرازي(محمد الرازي فخر الدّين): مفاتيح العنيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط1، 1981.
16) الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر،ج31، ط1، 1981م.
17) رامان ساحدن، النظرية "الأدبية المعاصرة" الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ،1996.
18) رجاء عيد: لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف الإسكندرية، 1998،ط1، المجلد1.
19) زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت/ لبنان، 1426هـ _2005.
20) زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرح وتقديم علي فاعو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003، ط1.
21) الشافعي، الديوان، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط3، القاهرة، 1405هـ_1985م .
22) صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراء تطبيقية، دار شرقبات، القاهرة، ط 1، 1996.
23) صلاح فضل، شفرات النص: دراسة سيمبولوجية في شعرية النص والقصيد، عين الدراسات والبحوث الانسانية، ط2 ،1995.2003 .
24) ط3، 1992.
25) طرفة بن العبد، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية،ط3، بيروت/ لبنان، 1423هـ_2002هـ.
26) عبد الرحمان بارود: الأعمال الشعرية الكاملة، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق ط1، 2010.

27) عبد الرحمان عميرة، دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عالم الكتب ج1، ط1، 1992م.

28) عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998.

29) عبد المالك مرتاض في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع201، كانون الثاني، 1988.

30) عبد المالك مرتاض، نظريته القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية- دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران

31) عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب دار العودة بيروت، 1990.

32) ال عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب دار العودة بيروت، 1990.

33) علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية،ط1، عمان، دار الشروق، 1997.

34) عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والادب -دراسة_، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2002.

35) كازم محمود عزيز، أساطير العالم القديم مكتبة النافذة للنشر1، 2007.

36) كاظم جهاد، أدونيس، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية النثر : مكتبة مديولي- مصر، ط2 ،1993.

37) كمال خلايلي، معجم الأمثال والحكم العربية (النثرية والشعرية)، مكتبة لبنان ناشرون1998،1.

38) للكتاب- القاهرة، مصر1990.

39) ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى (آيات العلوم الكونية)، المكتبة العصرية، بيروت، ج1.

40) مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

41) محمد البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مكتبة الرضوان، ط1، الجزائر، 1329هـ،_2008م.

42)محمد البشير الابراهيمي، في قلب المعركة، ص97. عبد الله بومنجل، النثر الفني عند البشير الابراهيمي، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، جوان2009.
43)محمد بنيس، ظاهرة الشعر العربي في المغرب، دار العودة، ط1، بيروت،1997.
44)محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1998.
45)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص" ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان،
46)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص-، المركز الثقافي الدار البيضاء، ط3 ،1992.
47)محمود إسماعيل جيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1992.
48) المراغي(أحمد مصطفى)، تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج1.
49)نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة إصدارات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001.
50)نور الدين المسد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1997،ج2.
51)يعقوب يوسف، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق: عبد الرزاق حسن دار النفائس-الأردن، ط1، 2000.
52)يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسونية، اصدارات رابطة ابداع الثقافة، د.ط، الجزائر، 2002. ط1، 1981.
53)يوسي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي. محمد الأخضر دار الثقافة، المغرب، ج3.

الكتب المترجمة:

54)ابن حمديس، الديوان، وقف على طبعه وتصحيحه، جلستينو سكيابارياللي، رومية الكبرى، 1897.
55)تودوروف، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر-أحمد الميديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1987.

56)رولان بارت، من الأثر الأدبي إلى النص، تر: عبد السلام بن عبد الله ، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت عدد 38، فيفري 1986.

ثالثا: المعاجم

57)إبراهيم محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1969.

58)ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج6.

59)ابن منظور، لسان العرب، مج 02.

60)نهلة الأحمد، التفاعل النصي-التناصية: النظرية والمنهج، كتاب الرياض، عدد104،جويلية،2000.

61)نيفين ساميول، التناص ذاكرة الأدب ترجمة نجيب عزاوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007.

رابعا: المجلات والدوريات:

62)ابراهيم نمر موسى، نحو تحديد مصطلحات التناص، الأدب المقارن، السرقات الأدبية، مجلة علامات فبراير2008، ج64.

63)اسماعيل عبد الله الإسماعيل، المعارضات السردية في الأدب العربي، مجلة.

64)تود وروف وآخرون، الخطاب النقدي الجديد، ترجمة أحمد المديني، مجلة عيون المقالات، المغرب، ط2 ،1989.

65) سامية عليوي، التناص الأسطوري في شعر سميح قاسم، مجلة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع7.

66) شجاع العاني، الليث والخراف المهضومة، دراسة في بلاغة التناص الأدبي، مجلة الموقف الثقافي، دار الش الثقافية بغداد، ع1998،17.

67)صبري حافظ، التناص واشاريات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، المغرب، ع، 1986.

68) عطا أحمد، التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نبات المصري، بحث مقدم للمؤتمر الرابع لكلية الألسن جامعة ألمانيا، أبريل 2007.

69) علم غانم جثير: سورة يوسف صورة للحرب النفسية في المرحلة المكية، مجلة أبحاث البصره، المجلد 37، ع1، 2012م.

70)فلاح حسن أوغابي، اقتحام التناص عالم الذات، مجلة الموقف الأدبي، العدد335، أكتوبر 2001.

71)مارك أنجينو، التناصية ، مجلة علامات، م5، ج18، مارس،1996م.

72)مجلة علوم اللغة العربية، جامعة الوادي، مطبعة منصور، ع4 ،2012م.

73)محمد الغزالي، محمد البشير الابراهيمي، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد87، مايو، يونيو،1985.

سادسا: المواقع الالكترونية

1) حسين خمري، انتاج معرفة بالنص، مقال في مجلة دراسات عربية، ع11-12 بيروت،1987.

2) رفيقة سماحي، التناص في كتابات البشير الابراهيمي، أصوات الشمال 16/04/2014، على الساعة: 14:53.

فهـرس

المحتويات

شكـــر وعرفـــان .....

مقدّمــة.....أ

الفصل الأوّل **5**

التناص: جهازه الاصطلاحي وأبعاده الدلالية

أولا: التناص؛ بين الأصل الغربي والتلقي العربي.....**8**

1. ارهاصات المصطلح:.....8
2. التناص عند العرب:..... 17

أ- التناص عند محمد مفتاح:..... 17

ب-التناص عند محمد بنيس: 20

ثالثا: أنواع التناص.....**22**

ثانيا: أشكال التناص:.....**23**

رابعا: آليات التناص :.....**23**

الفصل الثاني: تجليات التناص في عيون البصائر

أولا: تعريف المدونة **27**

ثانيا: تجليات التناص في عيون البصائر **28**

1. التناص الداخلي:..... 28
2. التناص الخارجي..... 30

1.2. التناص الديني..... 30

1.1.2.التناص مع القرآن الكريم:..... 30

2.1.2.التناص من ألفاظ النص القرأني:..... 44

3.1.2.التناص مع القصص القرآني:..... 46

قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام: 46

قصة سيدنا "يوسف – عليه السلام– 47

قصة الأسباط: 48

3.2.التناص مع الحديث النبوي الشريف: 51

ثالثا: التناص مع مصطلحات علم اللغة والفقه 56

رابعا: التناص الأدبي: 57

1. التناص مع التراث: 58
2. التناص الشعري: 65

خامسا: التناص الأسطوري 71

1. أسطورة كواكب النحس: 71
2. أسطورة التشاؤم من الكواكب ذوات الأذناب الطويلة 72
3. أسطورة التنين الضخم القاتل: 74

سادسا: التناص السياسي 75

الخاتمة 77

الملاحق 81

قائمة المصادر والمراجع 90

فهرس المحتويات 97

الملخص:

اختير للدراسة نص عربي في الذروة من المتانة والرصانة والاحكام، هو "عيون البصائر" لإمام البيان محمد البشر الابراهيمي سعيا للوقوف على عناصر بنائه ونمائه، وبعد الفحص والتتبع انكشف أكثرها وثبت ثبوتا بينا. إذ صاغ الإبراهيمي نصه بحيث تخدم كل لبنة صغرى مقاصده الكبرى، وهذا غاية ما يرومه الكاتب.

وقد اتخذها ركيزة للتعبير عن قضايا الأمة الجزائرية والعربية عامة (الدين، اللغة العربية، الهوية).

وهذا ينم على قدرة عالية في توظيف ما يخدم نصوصه للإقناع وتبليغ مقاصده والتأثير في الملتقى.

الكلمات المفتاحية: التناص، التناص الأدبي، التناص الخارجي، عيون البصائر.

Résumé

Ce texte a été choisi pour étudier le texte arabe dans le sommet de la sobriété et qu'il est <OUYOUN AL BASSAIR> de l'imam de la déclaration L'auteur a inventé le texte afin que chaque petite expression signifie un grand sens.et c'est ça son intention..Il l'a pris comme fondation pour exprimer l'affaire du peuple algérien spécialement et les arabes en générale(la religion la langue arabe et l'identité)et ça a un reflet pour la grande capacité d'employer ces textes pour convaincre.

Mots clés: harmonie, harmonie littéraire, harmonie externe, yeux de perspicacité.